

شعر إقبال يُعلي الهمم ويذكر الحماسة للإسلام

□ قال العلامة أبو الحسن الندوي عن محمد إقبال: «.. إني أحببته، وشغلت به كشاعر «الطموح»، والحب والإيمان، وكشاعر له عقيدة، ودعوة، ورسالة، وكأعظم ثائر على هذه الحضارة الغربية المادية، وكأعظم ناقد لها، وحاقد عليها، وكداعية إلى المجد الإسلامي، وسيادة المسلم.. أشهد على نفسي أنني كلما قرأت شعره جاش خاطري، وثار عواطفِي، وشعرت بدبيب المعاني والأحاسيس في نفسي للحماسة الإسلامية في عروقي، وتلك قيمة شعره، وأدبه في نظري».

□ وقال الأستاذ عباس العقّاد: «.. إن إقبالاً هو طراز العظمة الذي يتطلبه الشرق في الوقت الحاضر، وفي كل حين؛ لأنها عظمة ليست بالدينيّة المادية، وعظمة ليست بالأخروية المعرضة عن هذه الدنيا، وهو زعيم العمل بين العدوّتين من الدنيا والآخرة قوام بين العالمين كأحسن ما يكون القوام».

□ وقال الدكتور طه حسين: «شاعران إسلاميان رفعا مجد الآداب الإسلاميّة إلى الذروة، وفرضا هذا المجد الأدبيّ الإسلاميّ على الزمان، أحدهما إقبال شاعر الهند والباكستان..».

□ وقال الدكتور عبد الوهاب عزّام: «لا أعرف كشعر إقبال، معرّفاً بالحياة، داعياً إليها، معظماً الإنسان، مُشيداً بمكانته في هذا العالم، نافثاً الأمل، والهمّة، والإقدام في نفوس الناس».

□ وقال الدكتور أحمد الشرباصي: «.. ولم أر شاعراً يتصوّر للمسلم صورةً مثاليّةً عاليةً كتلك الصورة التي يرسمها إقبال في مواضع كثيرة عن

شعره، إِنَّه يَصوِّرُ المسلمَ حيناً كأنه ماءٌ في رِقَّتِه، وحديدٌ في شِدَّتِه يهزأ بالصَّعابِ، ويعلو على الترابِ، ويسري مع الأفلاكِ، ويجري مع الأملاكِ...».

□ وقال الدكتور أحمد حسن الزيات: «.. فإذا كان حَسَّانَ رحمته الله شاعر الرسول ﷺ، فإنَّ إقبالاً شاعر الرسالة»^(١).

□ قال رحمته الله:

إنَّ تَضيقَ بالجهادِ في الأرضِ ذُرْعاً فحرامٌ مسراكَ فوقَ السَّحابِ^(٢)

□ وقال عن الصبح الذي يريده:

إنَّا لنجهلُ مطلعَ الصُّبحِ الذي يُدعى بيومٍ أو غدٍ في الأزمنِ
لكنَّما الصُّبحُ الذي ارتجَّتْ له ظلَّمُ العوالمِ، من أذانِ المؤمنِ

كلمات للحياة:

□ لصرعى الحضارة الغربية من تدنَّتْ همهم يقول إقبال: «لم يستطع بريقُ العلوم الغربية أن يُبهر لَبِّي، ويعشي بصري، وذلك لأنني اكتحلت بإثم المدينة».

□ ويقول: «مكثت في أثون التعليم الغربي؛ وخرجت كما خرج إبراهيم من نار نمرود».

□ ويقول: «لم يزل، ولا يزال فراعنةُ العصر يرصدونني، ويكمنون لي، ولكنني لا أخافهم، فإني أحمل اليدَ البيضاء، إنَّ الرجل إذا رُزِقَ الحبَّ

(١) ديوان «محمد إقبال» (١٣/٢، ١٤) - إعداد سيد عبد الماجد الغوري - دار ابن

كثير - سرورية.

(٢) المصدر السابق (١٩/٢).



الصادق، عرف نفسه، واحتفظ بكرامته، واستغنى عن الملوك والسلاطين، لا تعجبوا إذا اقتنصت النجوم، وانقادت لي الصّعاب، فإني من عبّيد ذلك السيد العظيم الذي تشرفت بوطأته الحصباء، فصارت أعلى قدرًا من النجوم، وجرى في إثره الغبار، فصار أعبق من العبير».

□ وفي ذكر مقومات حياة الأمة الإسلامية لا بدّ من علو الهمة في الاتصال الدائم بنبّيّها، والتشبع بتعاليمه واتباعه، والتفاني في حبه، يقول إقبال: «إنّ قلب المسلم عامر بحبّ المصطفى ﷺ، وهو أصل شرفنا، ومصدر فخرنا في هذا العالم، إنّ هذا السيد الذي داست أمته تاج كسرى، كان يرقد على الحصير، إنّ هذا السيد الذي نام عبيده على أسرة الملوك كان يبيت ليالي لا يكتحل بنوم، لقد لبث في غار حراء ليالي ذوات العدد، فكان أن وجدت أمّة، ووجد دستور، ووجدت دولة، إذا كان في الصلاة فعيناه تهملان دمعًا، وإذا كان في الحرب فسيفه يقطر دمًا، لقد فتح باب الدنيا بمفتاح الدين، بأبي هو وأمي، لم تلد مثله أمّ، ولم تُنجب مثله الإنسانية، افتتح في العالم دورًا جديدًا، وأطلع فجرًا جديدًا، كان يساوي في نظرته الرفيع والوضيع، ويأكل مع مولاه على خوانٍ واحدٍ، جاءته بنت حاتم أسيرةً مقيّدةً سافرة الوجه، خجلةً مطرقةً رأسها، فاستحيا النبي ﷺ، وألقى عليها رداءه».

نحن أعرى من السيدة الطائية، نحن عراة أمام أمم العالم، لطفه وقهره كلّ رحمة، هذا بأعدائه، وذلك بأوليائه، الذي فتح على الأعداء باب الرحمة، وقال: لا تثريب عليكم اليوم! نحن المسلمون من الحجاز، والصين، وإيران، وأقطار مختلفة، نحن غيض من فيض واحد، نحن أزهار كثيرة العدد، واحدة الطيب والرائحة، لماذا لا أحبه، ولا أحنُّ إليه،

وأنا إنسان، وقد بكى لفراقه الجذع، وحنَّت إليه سارية المسجد؟! إنَّ تربة المدينة أحبُّ إليَّ من العالم كله، أنعم بمدينة فيها الحبيب!«^(١).

□ ويقول في دعائه لربه: «أنت غنيٌّ عن العالمين، وأنا عبدك الفقير، فاقبل معذرتي يوم الحشر، وإن كان لا بدَّ من حسابي فأرجوك يا رب، أن تحاسبني بنجوةٍ من المصطفى ﷺ، فإني أستحي أن أنتسب إليه وأكون في أمته، وأقترف هذه الذنوب والمعاصي»^(٢).

□ مَنْ تَبَعَ التَّارِيخَ عِلْمَ أَنَّ مَحَبَّةَ سَلَفِنَا لِنَبِيِّهِمْ وَعُلُوَّ هِمَّتِهِمْ فِي اتِّبَاعِهِ وَالْإِيْمَانِ بِهِ كَانَتْ مَصْدَرَ عِلْمِهِمُ الْعَمِيقِ، وَحُكْمَتِهِمُ الرَّائِعَةِ، وَمَعَانِيهِمُ الْبَدِيعَةِ، وَبَطُولَتِهِمُ الْفَائِقَةِ، وَشَخْصِيَّاتِهِمُ الْفَذَّةَ، وَعَبَقْرِيَّتِهِمُ النَّادِرَةَ، إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْفَضْلُ فِي غَالِبِ عَجَائِبِ الْإِنْسَانِيَةِ، وَمَعْظَمِ آثَارِهِمُ الْخَالِدَةِ فِي التَّارِيخِ، فَلَمَّا تَجَرَّدَ الْخَلْفُ مِنْ ذَلِكَ، كَانُوا صُورًا مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ، وَكَانُوا قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ.

لقد «اكتست صحراء العرب بفضل هذا النبي الأمي حلَّةً أنيقة، وانبتت زهرةً يانعة، إن عاطفة الحرية نشأت في ظل هذا النبي، بل ترعرعت ونمت في حجره، وهكذا كان يوم هذا العالم المعاصر مديناً لأمره.

لقد وضع قلباً نابضاً خفاقاً في جسد الإنسان البارد، وأزاح الستار عن طلعتة الجميلة الوضاعة.

هزم كلُّ طاغوت، وحطَّم كل صنم، وأورق به كلُّ غصن يابس وأزهر وأثمر، إنه رُوحُ معركة بدر وحُنين، وإنه مربِّي الصِّديق والفاروق

(١) «ديوان إقبال» (١/ ٣٠ - ٣١).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣١).

والحسين.

أذانُ صلاة الحرب وجرسُ سورة «الصفات» غيُضُ من فيضه، جعل
سيف صلاح الدين البتار، ونظرة بايزيد النافذة مفتاح كنوز الدنيا والآخرة.
جرعةٌ من كأسه أورت العقل والقلب.

واجتمع بها العلمُ والحكمة والدين والشرع، والإدارة والحكم مع
قلوب أواهرةٍ مخبئة منيية في الصدور.

إن جمال قصر الحمراء، والتاج الذي نال خراج الملائكة، وإعجاب
القديسين هو نفحةٌ من نفحاته، ولمحةٌ قصيرة من لمحاته، وومضته من
أنواره وبركاته.

ظاهره تلك التجليات والنفحات، وباطنه درٌّ مكنون لم يطلع عليه
العارفون، ولم يصل إلى كنهه السالكون.

فلا ريب أنه يستحقُّ ثناء الجميع وشكرهم وحمدهم؛ لأنه أسبغ نعمة
الإيمان على هذه الحفنة من التراب.

شَفَّةٌ تُحْيِي وَعَيْنٌ تَجْذِبُ	وَحَدَا الْأَشْتَاتَ هَذَا عَجَبٌ ^(١)
يَهَبُ النَّاسَ جَدِيدَ النَّظَرِ	يَجْعَلُ الْبَيْدَ كَرَوْضَ نَضِرٍ ^(٢)
فَتَرَى الْأُمَّةَ مِنْهُ سَائِرَهُ	بِلَهَيْبٍ مِنْهُ حَرَّى ثَائِرَهُ
شَرًّا فِي قَلْبِهَا قَدْ أَشْعَلَا	فَأَحَالَ الطُّيْنَ فِيهَا شُعْلَا

(١) كلامه ونظره يجذب البعيد إليه حتى يصيرا كنفس واحدة.

(٢) يهب الناس نظراً جديداً فيرون الأشياء على غير ما رأوها قبلاً، فرب حسن
يصير قبيحاً، وقبيح يصير حسناً.

- سِيرُهُ يَعْطِي التَّرَابَ الْبَصْرَا فَإِذَا الذَّرَّةُ سَيْنَاءَ تَرَى ^(١)
 عَارِيَّ الْعَقْلَ بِجَدَاوِهِ كَسَا وَهَبَ الثُّورَةَ هَذَا الْمَفْلِسَا ^(٢)
 يَنْفُخُ الْجَمْرَةَ فِي مَوْقِدِهِ وَيَذِيبُ الْغِشَّ مِنْ عَسْجَدِهِ ^(٣)
 وَيَفُكُّ الْعَبْدَ مِنْ أَغْلَالِهِ وَيُجِيرُ الْقِنْنَ مِنْ أَقْيَالِهِ
 يَجْذِبُ الْإِنْسَانَ شَطْرَ الْمَقْصَدِ جَاعِلَ الشَّرْعِ زَمَامًا فِي الْيَدِ
 نَكْتَةُ التَّوْحِيدِ يُوْحِيهَا إِلَيْهِ أَدَبَ الطَّاعَةِ يَمْلِيهِ عَلَيْهِ ^(٤)

نَشِيدُ عُلَاةِ الْهَمَمِ

- الصِّينُ لَنَا وَالْعُرْبُ لَنَا وَالْهِنْدُ لَنَا وَالْكُلُّ لَنَا
 أَضْحَى الْإِسْلَامُ لَنَا دِينًا وَجَمِيعُ الْكَوْنِ لَنَا وَطَنًا
 تَوْحِيدُ اللَّهِ لَنَا نَوْرٌ أَعَدَدْنَا الرُّوحَ لَهُ سَكَنًا
 الْكَوْنُ يَزُولُ وَلَا تُمُحَى فِي الدَّهْرِ صَحَائِفُ سُودَدِنَا
 بُنِيتُ فِي الْأَرْضِ مَعَابِدُهَا وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ كَعَبْتِنَا
 هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ نَحْفَظُهُ بِحَيَاةِ الرُّوحِ وَنَحْفَظُنَا
 فِي ظِلِّ السَّيْفِ تَرْبَيْنَا وَبَنَيْنَا الْعِزَّ لِدَوْلَتِنَا

- (١) ترى الذرة على ضآلتها طور سيناء. الذرة لا ترى إلا في نور الشمس، ولكن هذا الرسول الذي يتحدث عنه الشاعر يحيي الموات، وينير الظلم، فترى الذرة طور سيناء.
 (٢) العقل عريان مفلس حتى يمدّه الرسول فيكسوه ويغنيه أي: هو يهدي العقل ويقويه.
 (٣) يشعل العقل، ويميز له الخبيث من الطيب.
 (٤) يقيده بالشرعية ليجذبه إلى المقصود ويعلمه توحيد الله وأدب الطاعة فترى الإنسان حرًا من عبادة الكبراء مقيدًا بالشرع.

عَلِمُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْآيَا
 بِهَلَالِ النَّصْرِ يُضِيءُ لَنَا
 وَأَذَانُ الْمُسْلِمِ كَانَ لَهُ
 قَوْلُوا لِسَمَاءِ الْكَوْنِ لَقَدْ
 يَا دَهْرُ لَقَدْ جَرَبْتَ عَلَى
 طُوفَانُ الْبَاطِلِ لَمْ يُغْرِقْ
 وَعَلَى أَغْصَانِكَ أَوْ كَارُ
 يَا دَجَلَةُ هَلْ سَجَلْتَ عَلَى
 أَمْوَاجِكَ تَرْوِي لِلدُّنْيَا
 يَا أَرْضُ النُّورِ مِنَ الْحَرَمَيْنِ
 رَوْضُ الْإِسْلَامِ وَدَوْحُهُ
 وَمُحَمَّدُ كَانَ أَمِيرَ الرَّكْبِ
 إِنَّ اسْمَ مُحَمَّدٍ الْهَادِي
 دَوَّتْ أَنْشُودَةُ «إِقْبَالِ»
 لِيُعِيدَ قَوَائِلَنَا الْأُولَى

مِ شِعَارُ الْمَجْدِ لِلتِّينَا
 وَيُمَثِّلُ خَنْجَرَ سَطَوَتِنَا
 فِي الْغَرْبِ صَدَى مِنْ هَمَّتِنَا
 طَاوَلْنَا النُّجُومَ بِرَفَعَتِنَا
 نِيرَانِ الشُّدَّةِ عَزَمَتِنَا
 فِي الْخَوْفِ سَفِينَةَ قَوَّتِنَا
 عَمَرَتْ بِطَلَائِعِ نَشَاتِنَا
 شَطِيطِكَ مَأْتَرِ عَزَّتِنَا
 وَتُعِيدُ جَوَاهِرَ سِيرَتِنَا
 مِنْ وَيَا مِيلَادَ شَرِيعَتِنَا
 فِي أَرْضِكَ رَوَّاهَا دُمْنَا
 بِبِ يَقُودُ الْفُوزَ لُنُصْرَتِنَا
 رُوحُ الْأَمَالِ لِنَهْضَتِنَا
 جَرَسًا يَحْدُو فِيهِ الزَّمْنَا
 فِي الْمَجْدِ وَيَبْعَثُ أُمْتَنَا^(١)

(١) «ديوان إقبال» (١/ ٩١ - ٩٢).

رَوْضًا وَأَزْهَارًا بِغَيْرِ شَمِيمٍ
 لَا يُرْتَجَى وَرَدُّ بِغَيْرِ نَسِيمٍ
 لَيْلًا لظَالِمِهَا وَلِلْمَظْلُومِ

لَمَّا أَطْلَ مُحَمَّدٌ زَكَاةَ الرَّبِّ واخْضَرَّ فِي الْبُسْتَانِ كُلِّ هَشِيمٍ
وَأَذَاعَتْ الْفِرْدَوْسُ مَكُونِ الشَّدَا فإِذَا الْوَرَى فِي نُضْرَةٍ وَنَعِيمٍ

﴿٣٤٥﴾ ﴿٣٤٦﴾ ﴿٣٤٧﴾

مَنْ كَانَ يَهْتَفُ بِاسْمِ ذَاتِكَ قَبْلَنَا مَنْ كَانَ يَدْعُو الْوَاحِدَ الْقَهَّارَا
عَبَدُوا تَمَائِيلَ الصُّخُورِ وَقَدَّسُوا مَنْ دُونِكَ الْأَحْجَارَ وَالْأَشْجَارَا
عَبَدُوا الْكَوَاكِبَ وَالنُّجُومَ جَهَالَةً لَمْ يَبْلُغُوا مِنْ هَدْيِهَا أَنْوَارَا
هَلْ أَعْلَنَ التَّوْحِيدَ دَاعٍ قَبْلَنَا وَهَدَى الشُّعُوبَ إِلَيْكَ وَالْأَنْظَارَا
كُنَّا نَقْدِمُ لِلسُّيُوفِ صُدُورَنَا لَمْ نَخْشَ يَوْمًا غَاشِمًا جَبَّارَا

﴿٣٤٥﴾ ﴿٣٤٦﴾ ﴿٣٤٧﴾

قَدْ كَانَ فِي الْيُونَانِ فِلَسْفَةٌ وَفِي الْـ رُومَانَ مَدْرَسَةٌ وَكَانَ الْمُلْكُ فِي سَاسَانِ
لَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةٌ أَوْ ثَرَوَةٌ فِي الْمَالِ أَوْ فِي الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
وَبِكُلِّ أَرْضٍ سَامِرِيٍّ مَآكِرٌ يَكْفِي الْيَهُودَ مَوْؤَنَةَ الشَّيْطَانِ
وَالْحِكْمَةُ الْأُولَى جَرَتْ وَثَنِيَّةٌ فِي الصِّينِ أَوْ فِي الْهِنْدِ أَوْ طُورَانِ
نَحْنُ الَّذِينَ بَنُورٍ وَحِيكَ أَوْضَحُوا نَهَجَ الْهُدَى وَمَعَالِمَ الْإِيمَانِ

﴿٣٤٥﴾ ﴿٣٤٦﴾ ﴿٣٤٧﴾

مَنْ ذَا الَّذِي رَفَعَ السُّيُوفَ لِيَرْفَعَ مَكَ فَوْقَ هَامَاتِ النُّجُومِ مَنَارَا

(١) فِي الْأَصْلِ هَكَذَا، وَفِيهِ اضْطِرَابٌ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَسْتَقِيمَ الْوِزْنُ عَلَى حِسَابِ الْمَعْنَى
فَيَكُونُ:

قَدْ كَانَ فِي «الْيُونَانِ» وَ«الرُّومَانِ» مَدْرَسَةٌ، وَكَانَ الْمُلْكُ فِي سَاسَانِ

كُنَّا جِبَالًا فِي الْجِبَالِ وَرُبَّمَا
بِمَعَابِدِ الْإِفْرَنْجِ كَانَ أَذَانُنَا
لَمْ تَنْسَ إِفْرِيقِيَّةَ وَلَا صَخْرَاوُهَا
وَكَانَ ظِلُّ السَّيْفِ ظِلُّ حَدِيقَةٍ
سَرْنَا عَلَى مَوْجِ الْبَحَارِ بِحَارًا
قَبْلَ الْكَتَائِبِ يَفْتَحُ الْأَمْصَارَا
سَجَدَاتِنَا وَالْأَرْضُ تَقْدِفُ نَارَا
خَضِرَاءَ تُبَيِّتُ حَوْلَنَا الْأَزْهَارَا

﴿٣٨٨﴾ ﴿٣٨٩﴾ ﴿٣٩٠﴾

لَمْ نَخْشَ طَاغُوتًا يَحَارِبُنَا وَلَوْ
نَدْعُو جِهَارًا لَا إِلَهَ سِوَى الَّذِي
وَرَوْسُنَا يَا رَبِّ فَوْقَ أَكْفُنَا
كُنَّا نَرَى الْأَصْنَامَ مِنْ ذَهَبٍ
لَوْ كَانَ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ لِحَازَهَا
نَصَبَ الْمَنَایَا حَوْلَنَا أُسُورَا
صَنَعَ الْوُجُودَ وَقَدَّرَ الْأَقْدَارَا
تَرْجُو ثَوَابَكَ مَغْنَمًا وَجِوَارَا
فَنَهْدِمُهَا وَنَهْدِمُ فَوْقَهَا الْكَفَّارَا
كُنَّا وَصَاغَ الْحِلْيَ وَالْدِّينَارَا

﴿٣٩١﴾ ﴿٣٩٢﴾ ﴿٣٩٣﴾

كَمْ زُلْزَلَ الصَّخْرُ الْأَشْمُ فَمَا وَهَى
لَوْ أَنَّ آسَادَ الْعَرَبِ تَفَزَّعَتْ
وَكَأَنَّ نِيرَانَ الْمَدَافِعِ فِي صُدُوءِ
تَوْحِيدِكَ الْأَعْلَى جَعَلْنَا نَقْشَهُ
فَغَدَتْ صُدُورُ الْمُؤْمِنِينَ مَصَاحِفًا
مَنْ بِأَسِنَا عَزَمَ وَلَا إِيمَانُ
لَمْ يَلَقَ غَيْرَ ثَبَاتِنَا الْمِيدَانُ
رِ الْمُؤْمِنِينَ الرُّوحُ وَالرَّيْحَانُ
نُورًا يُضِيءُ بِصُبْحِهِ الْأَزْمَانُ
فِي الْكَوْنِ مَسْطُورًا بِهَا الْقُرْآنُ

﴿٣٩٤﴾ ﴿٣٩٥﴾ ﴿٣٩٦﴾

مَنْ غَيْرُنَا هَدَمَ التَّمَائِلَ الَّتِي
حَتَّى هَوَتْ صُورُ الْمَعَابِدِ سُجَّدًا
كَانَتْ تُقَدِّسُهَا جَهَالَاتُ الْوَرَى؟
لِجَلَالِ مَنْ خَلَقَ الْوُجُودَ وَصُورَا

وَمَنْ الْأُلَى حَمَلُوا بِعِزِّهِمْ أَكْفَهُمْ
بَابُ الْمَدِينَةِ يَوْمَ غَزْوَةِ خَيْبَرٍ^(١)
أَمَّنْ رَمَى الْمَجُوسَ فَأُطْفِئَتْ
وَأَبَانَ وَجْهَ الْحَقِّ أَبْلَجَ نِيرًا^(٢)؟
وَمَنْ الَّذِي بَذَلَ الْحَيَاةَ رَخِيصَةً
وَرَأَى رِضَاكَ أَعَزَّ شَيْءٍ فَاشْتَرَى

﴿٣٨٥﴾ ﴿٣٨٦﴾ ﴿٣٨٧﴾

نَحْنُ الَّذِينَ اسْتَيْقِظْتُ بِأَذَانِهِمْ
دُنْيَا الْخَلِيقَةِ مِنْ تَهَاوِيلِ الْكَرَى
نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا دُعُوا لَصَلَاتِهِمْ
وَالْحَرْبُ تَسْقِي الْأَرْضَ جَامًا أَحْمَرًا
جَعَلُوا الْوَجْهَ إِلَى الْحِجَازِ وَكَبَّرُوا
فِي مَسْمَعِ الرُّوحِ الْأَمِينِ فَكَبَّرَا
مَحْمُودٌ مِثْلَ إِيَّازٍ^(٣) قَامَ كِلَاهُمَا
لَكَ بِالْخُشُوعِ مَطْلَبًا مُسْتَغْفِرًا
وَالْعَبْدُ وَالْمَوْلَى عَلَى قَدَمِ التَّقَى
سَجَدَا لَوَجْهِكَ خَاشِعِينَ عَلَى الثَّرَى

﴿٣٨٥﴾ ﴿٣٨٦﴾ ﴿٣٨٧﴾

بَلَغْتَ نَهَايَةَ كُلِّ أَرْضٍ خَيْلُنَا
وَكَأَنَّ أَبْحَرَهَا رِمَالُ الْبَيْدِ
فِي مَحْفَلِ الْأَكْوَانِ كَانَ هَلَاكُنَا
بِالنَّصْرِ أَوْضَحَ مِنْ هَلَالِ الْعِيدِ
فِي كُلِّ مَوْقِعَةٍ رَفَعْنَا رَايَةً
لِلْمَجْدِ تُعْلِنُ آيَةَ التَّوْحِيدِ
أُمُّ الْبَرَايَا لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُنَا
إِلَّا عَبِيدًا فِي إِسَارِ عَبِيدِ
بَلَغْتَ بِنَا الْأَجْيَالُ حَرِّيَّاتَهَا
مَنْ بَعْدَ أَصْفَادٍ وَذَلٍّ قِيُودِ

﴿٣٨٥﴾ ﴿٣٨٦﴾ ﴿٣٨٧﴾

(١) هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) هو السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي.

(٣) إياز: هو مولى السلطان محمود السبكتكين.

رُحْمَاكَ رَبِّ هَلْ بَغِيرَ جِبَاهِنَا
كَانَتْ شِغَافُ قُلُوبِنَا لَكَ مُضْحَفًا
إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَفَاءً صَادِقًا
مَلَأَ الشُّعُوبَ جُنَاتُهَا وَعُصَاتُهَا
فَإِذَا السَّحَابُ جَرَى سَقَاهُمْ غَيْثَهُ
عُرِفَ السُّجُودُ بَيْتِكَ الْمَعْمُورِ
يَحْوِي جَلَالَ كِتَابِكَ الْمُسْطُورِ
فَالْخَلْقُ فِي الدُّنْيَا بَغِيرَ شُعُورِ
مِنْ مُلْحِدِ عَاتٍ وَمِنْ مَغْرُورِ
وَاخْتَصَّنَا بِصَوَاعِقِ التَّذْمِيرِ

﴿٣٤٥﴾ ﴿٣٤٦﴾ ﴿٣٤٧﴾

قَدْ هَبَّتِ الْأَصْنَامُ مِنْ بَعْدِ الْبَلَى
وَالْكَعْبَةُ الْعَلِيَا تَوَارَى أَهْلُهَا
وَقَوَافِلُ الصَّحَرَاءِ ضَلَّ حُدَاتُهَا
أَنَا مَا حَسَدْتُ الْكَافِرِينَ وَقَدْ غَدَوَا
بَلْ مَحْتَتِي إِلَّا أَرَى فِي أُمَّتِي
وَاسْتَيْقَظْتُ مِنْ قَبْلِ نَفْخِ الصُّورِ
فَكَأَنَّهُمْ مَوْتَى لَغَيْرِ نُشُورِ
وَعَدْتُ مَنَازِلَهَا ظِلَالُ قُبُورِ
فِي أَنْعَمَ وَمَوَاكِبِ وَقُصُورِ
عَمَلًا تَقَدَّمَهُ صَدَاقُ الْحُورِ^(١)

﴿٣٤٥﴾ ﴿٣٤٦﴾ ﴿٣٤٧﴾

لَكَ الْبَرِيَّةُ حَكْمَةٌ وَمَشِيئَةٌ
إِنْ شِئْتَ أَجْرِيَتِ الصَّحَارَى أَنْهَرًا
فَإِذَا دُهِىَ الْإِسْلَامُ فِي أَبْنَائِهِ
فَثَرَاؤُهُمْ فَقَرٌّ وَدَوْلَةٌ مَجْدُهُمْ
عَاقَبَتُنَا عَدْلًا فَهَبْ لِعَدُونَا
أَعْيَتْ مَذَاهِبُهَا أُولَى الْأَلْبَابِ
أَوْ شِئْتَ فَلْأَنْهَارُ مَوْجُ سَرَابِ
حَتَّى انْطَوَوْا فِي مَحْنَةٍ وَعَذَابِ
فِي الْأَرْضِ نَهْبُ ثَعَالِبٍ وَذَنَابِ
عَنْ ذَنْبِهِ فِي الدَّهْرِ يَوْمَ عِقَابِ

﴿٣٤٥﴾ ﴿٣٤٦﴾ ﴿٣٤٧﴾

عاشُوا بِثَرَوَتِنَا وَعَشْنَا دُونَهُمْ
الَّذِينَ يَحْيَا فِي سَعَادَةِ أَهْلِهِ
أَيْنَ الَّذِينَ بِنَارِ حَبِّكَ أُرْسَلُوا الـ
سَكَبُوا اللَّيَالِي فِي أَنْيْنِ دُمُوعِهِمْ
وَالشَّمْسُ كَانَتْ مِنْ ضِيَاءِ وُجُوهِهِمْ
لِلْمَوْتِ بَيْنَ الذُّلِّ وَالْإِمْلَاقِ
وَالْكَأْسُ لَا تَبْقَى بِغَيْرِ السَّاقِي
أَنْوَارَ بَيْنِ مُحَافِلِ الْعَشَّاقِ
وَتَوَضَّؤُوا بِمَدَامِعِ الْأَشْوَاقِ
تَهْدِي الصَّبَاحَ طَلَائِعَ الْإِشْرَاقِ

﴿٣٨٨﴾ ﴿٣٨٩﴾ ﴿٣٩٠﴾

كَيْفَ انْطَوَتْ أَيَّامُهُمْ وَهُمْ الْأَلَى
هَجَرُوا الدِّيَارَ فَأَيْنَ أَزْمَعُ ^(٢) رَكْبُهُمْ
يَا قَلْبُ حَسْبُكَ لَمْ تُلَمَّ ^(٣) بِطَيْفِهِمْ
فَازُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَجْدِ خَالِدٍ
يَا رَبِّ أَهْمُنَا الرَّشَادَ فَمَا لَنَا
نَشْرُوا الْهُدَى وَعَلَوْا مَكَانَ الْفَرْقَدِ ^(١)
مَنْ يَهْتَدِي لِلْقَوْمِ أَوْ مَنْ يَقْتَدِي
إِلَّا عَلَى مَصْبَاحِ وَجْهِ مُحَمَّدٍ
وَلَهُمْ خُلُودُ الْفَوْزِ يَوْمَ الْمَوْعِدِ
فِي الْكَوْنِ غَيْرَكَ مَنْ وَلِي مُرْشِدٍ

﴿٣٩١﴾ ﴿٣٩٢﴾ ﴿٣٩٣﴾

مَا زَالَ قَيْسٌ وَالْغَرَامُ كَعَهْدِهِ
وَهَضَابُ نَجْدٍ مِنْ مَرَاغِيهَا الْمَهَا
وَالْعَشْقُ فَيَاضٌ وَأُمَّةٌ أَحْمَدٍ
لَوْ حَاولْتُ فَوْقَ السَّمَاءِ مَكَانَةً
وَرَبِوعُ لَيْلِي فِي رَبِيعِ جَاهِلِهَا
وَضَبَاؤُهَا الْخَفَرَاتِ مَلَأُ جِبَاهِهَا
يَتَحَفَّزُ التَّارِيخُ لِاسْتِقْبَالِهَا
رَفَّتْ عَلَى شَمْسِ الضُّحَى بِهَلَاكِهَا

(١) الْفَرْقَدُ: وَهُوَ نَجْمٌ قَرِيبٌ مِنَ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ ثَابِتُ الْمَوْقِعِ تَقْرِيبًا، وَلِذَا يُهْتَدَى بِهِ، وَهُوَ الْمُسَمَّى «النَّجْمَ الْقُطْبِيَّ».

(٢) أَزْمَعُ: قَصَدَ وَتَوَجَّهَ.

(٣) لَمْ تُلَمَّ: لَمْ تَنْزَلْ بِهِمْ.

ما بالها تَلْقَى الجدودَ عواثرًا^(١) وتَصُدُّهَا الأيامُ عن آمالِها

﴿٣٨٨﴾ ﴿٣٨٩﴾ ﴿٣٩٠﴾

هَجَرُ الحبيبِ رَمَى الأُحِبَّةَ بالنَّوى وأَصَابَهُمْ بِتَضَرُّمِ الآمَالِ
لو قد مللنا العِشْقَ كَانَ سَبِيلُنَا أو نَسْتَكِينُ إِلَى هَوَى وَضَلَالِ
أو نَصْنَعُ الأصْنَامَ ثُمَّ نَبِيعُهَا حَاشَا المُوَحِّدَ أَنْ يَذِلَّ لِمَالِ
أَيَّامُ سَلَمَانَ بِنَا مَوْصُولَةٌ وَتُقَى أُوَيْسَ فِي أَذَانِ بِلَالِ

﴿٣٩١﴾ ﴿٣٩٢﴾ ﴿٣٩٣﴾

يَا طَيْبَ عَهْدٍ كُنْتَ فِيهِ مَنَارَنَا فَبَعَثْتَ نَوْرَ الْحَقِّ مِنْ فَارَانِ
وَأَسْرَتْ فِيهِ الْعَاشِقِينَ بِلَمْحَةٍ وَسَقَيْتَهُمْ رَاحًا بِغَيْرِ دَنَانِ
أَحْرَقْتَ فِيهِ قُلُوبَهُمْ بِتَوْقِدِ الإِيْمَانِ لَا بَتَلْهُبِ النَّيْرَانِ لَمْ تَحْظَ مِنْ نَارِ الْهَوَى بِدُخَانِ
لَمْ نَبْقَ نَحْنُ وَلَا الْقُلُوبُ كَأَنَّمَا فَمَكَانُ حُزْنِ الْقَلْبِ كُلُّ مَكَانِ
إِنْ لَمْ يُتَرَوْجَهُ الْحَبِيبُ بِوَصْلِهِ

﴿٣٩٤﴾ ﴿٣٩٥﴾ ﴿٣٩٦﴾

يَا فَرَحَةَ الأَيَّامِ حِينَ نَرَى بِهَا رَوْضَ التَّجَلَّى وَارْفَ الْأَغْصَانِ
وَيَعُودَ مُحْفَلُنَا بِحُسْنِكَ مَسْفَرًا كَالصُّبْحِ فِي إِشْرَاقِهِ الْفِينَانِ
قَدْ هَاجَ حَزْنِي أَنْ أَرَى أَعْدَاءَنَا بَيْنَ الطَّلَا^(٢) وَالظِّلِّ وَالْأَحْزَانِ
وَنَعَالِجُ الْأَنْفَاسِ نَحْنُ وَنَصْطَلِي فِي الْفَقْرِ حِينَ الْقَوْمُ فِي بَسْتَانِ

(١) الجدود العواثر: الحظوظ الخائبة.

(٢) الطلا: الخمر.

أَشْرُقُ بِنُورِكَ وَابْعَثِ الْبَرْقَ الْقَدِيمَ بِوَمُضَةٍ لِفَرَّاشِكَ الظُّمَانِ

~~~~~

|                                                             |                                            |
|-------------------------------------------------------------|--------------------------------------------|
| أَشْوَاقُنَا نَحْوَ الْحِجَازِ تَطَلَّعْتَ                  | كَحْنَيْنِ مُغْتَرِبٍ إِلَى الْأَوْطَانِ   |
| إِنَّ الطُّيُورَ وَإِنْ قَصَصْتَ جَنَاحَهَا                 | تَسْمُو بِفَطَرَتِهَا إِلَى الطَّيْرَانِ   |
| قِيْثَارِي مَكْبُوتَةً وَنَشِيدُهَا                         | قَدْ مَلَّ مِنْ صَمْتٍ وَمِنْ كِتْمَانِ    |
| وَاللَّحْنُ فِي الْأَوْتَارِ يَرْجُو عَازِفًا               | لِيُوحَّ مِنْ أَسْرَارِهِ بِمَعَانِ        |
| وَالطُّورُ <sup>(١)</sup> يَرْتَقِبُ التَّجَلِّيَّ صَارِخًا | بِهَوَى الْمَشُوقِ وَلَهْفَةِ الْحَيْرَانِ |

~~~~~

أَكْبَادُنَا احْتَرَقَتْ بِأَنَاتِ الْجَوَى	وَدَمَاؤُنَا نَهْرُ الدُّمُوعِ الْقَانِي
وَالْعَطَرُ فَاضَ مِنَ الْخَمَائِلِ وَالرُّبَا	وَكَاثَهُ شَكْوَى بَغِيرِ لِسَانِ
أَوْ لَيْسَ مِنْ هَوْلِ الْقِيَامَةِ أَنْ يَكُو	نَ الزَّهْرُ تَمَامًا ^(٢) عَلَى الْبُسْتَانِ
النَّمْلُ لَا يَخْشَى سَلِيمَانًا إِذَا	حَرَسَتْ قُرَاهَ عَنَابَةَ الرَّحْمَنِ
أَرْشَدُ بَرَاهِمَةَ الْهُنُودِ لِيَرْفَعُوا الـ	إِسْلَامَ فَوْقَ هِيََاكِلِ الْأَوْثَانِ

~~~~~

|                                              |                                                    |
|----------------------------------------------|----------------------------------------------------|
| مَا بَالُ أَغْصَانِ الصَّنُوبَرِ قَدْ نَأَتْ | عَنْهَا قَمَارِيهَا <sup>(٣)</sup> بِكُلِّ مَكَانِ |
| وَتَعَرَّتِ الْأَشْجَارُ مِنْ حُلِّ الرُّبَا | وَطُيُورُهَا فَرَّتْ إِلَى الْوُدَيَانِ            |

(١) الطُّورُ: هو الجبل الذي تجلَّى الله عليه لموسى عليه الصلاة والسلام وكلمه.

(٢) نَمَامًا: هو مَنْ يُزَيِّنُ لِلنَّاسِ الْكَلَامَ بِالْكَذِبِ.

(٣) الْقَمَارِي: هو ضرب من الحمام مطوَّق حسن الصوت.

يَا رَبِّ إِلَّا بُلْبُلًا لَمْ يَنْتَظِرْ  
أَلْحَانَهُ بَحْرٌ جَرَى مُتَلَاطِمًا  
يَا لَيْتَ قَوْمِي يَسْمَعُونَ شِكَايَةَ  
وَحْيِ الرَّبِّيعِ وَلَا صَبَاً <sup>(١)</sup> نَيْسَانِ  
فَكَأَنَّهُ الْحَاكِي عَنْ الطُّوفَانِ  
هِيَ فِي ضَمِيرِي صَرْخَةُ الْوُجْدَانِ



وقيل هو ابن آدم في غُرُورٍ      تجاوزَ قَدْرَه دُونَ ارْعِوَاءِ<sup>(١)</sup>  
لقد سَجَدَتْ ملائكةُ كرامٍ      لهذا الخلق من طينٍ وماءٍ  
يُظَنُّ العِلْمُ في كيفٍ وكمٍ      وسرُّ العَجْزِ عنه في انطواءٍ  
وملءٌ كُؤُوسِهِ دمعٌ وشكوى      وفي أنغامِهِ صوتُ الرِّجاءِ  
فيا هذا لقد أبلغتَ شيئاً      وإنْ أَكْثَرْتَ فيه مِنَ المِراءِ

﴿٣٤٥﴾ ﴿٣٤٦﴾ ﴿٣٤٧﴾

عَطايانا سَحَابٌ مُرْسَلَاتٍ      ولكنْ ما وَجَدنا السَّائِلِنا  
وكلُّ طَرِيقنا نُورٌ<sup>(٢)</sup> ونورٌ      ولكنْ ما رَأينا السَّالِكِنا  
ولم نَجِدِ الجِوَاهِرَ قابِلاتٍ      ضياءَ الوحي والنُّورِ المِينا  
وكان تراب آدم غيرَ هذا      وإنْ يَكُ أَصْلُه ماءً وَطِينا  
ولو صدقوا وما في الأرض نهرٌ      لأَجْرِنا السَّماءَ لهم عُيونا

﴿٣٤٨﴾ ﴿٣٤٩﴾ ﴿٣٥٠﴾

وأخضعنا لِلِكِهِم الثُّرَيَّا      وشيَّدنا النُّجُومَ لهم حُصونا  
ولكنْ أَلْحَدُوا في خَيْرِ دين      بنى في الشَّمْسِ مُلْكَ الأوَّلِنا  
ثُراثٌ مَحَمَّدٍ قد أَهْمَلُوهُ      فعاشُوا في الخلائقِ مُهْمَلِنا  
تولَّى هادِمو الأصنامِ قُدْماً      فعاد لها أولئك يصنعونا  
أباهم كان إبراهيمَ لكن      أرى أمثالَ آزرَ<sup>(٣)</sup> في البِنيْنا

(١) ارعواء: كف وارتداع.

(٢) النُّور: الزهر.

(٣) آزر: اسم والد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي كان ينحت الأصنام حِرْفَةً.

وَفِي أَسْلَافِكُمْ كَانَتْ مَزَايَا      بِكُلِّ فَمٍ لَذِكْرَاهَا نَشِيدُ  
تَضُوعٌ<sup>(١)</sup> شَقَائِقُ الصَّحَرَاءِ عِطْرًا      بَرِيَّاهَا وَتَبْتَسُّمُ السُّورُودُ  
فَهَلْ بَقِيتُمْ مُحَاسِنُهُمْ لَدَيْكُمْ      فَيَجْمَلُ فِي دَلَالِكُمُ الصُّدُودُ  
لَقَدْ هَامُوا بِخَالِقِهِمْ فَنَاءً      فَلَمْ يَكْتُبْ لغيرِهِمُ الْخُلُودُ  
وَكُوْثُرُ أَحْمَدٍ مِنْكُمْ قَرِيبٌ      وَلَكِنْ شَوْقُكُمْ عَنْهُ بَعِيدٌ

﴿٣٤٤﴾

وَكَمْ لَاحِ الصَّبَاحُ سَنًا<sup>(٢)</sup> وَبُشْرَى      وَأَذْنَتِ الْقَمَارِي وَالطُّيُورُ  
وَكَبَّرَتِ الْخَمَائِلُ فِي رَبَاهَا      مَطْلِيَّةٌ فَجَاوَبَهَا الْغَدِيرُ  
وَنُومٌ صَبَاحُكُمْ أَبَدًا ثَقِيلٌ      كَأَنَّ الصَّبْحَ لَمْ يَدْرِكْهُ نَوْرُ  
وَأُضْحَى الصَّوْمِ فِي رَمَضَانَ قِيدًا      فَلَيْسَ لَكُمْ بِهِ عَزْمٌ صَبُورُ  
تَمَدَّنَ عَصْرُكُمْ جَمَعَ الْمَزَايَا      وَلَيْسَ بِغَائِبٍ إِلَّا الضَّمِيرُ

﴿٣٤٤﴾

لَقَدْ ذَهَبَ الْوَفَاءُ فَلَا وَفَاءً      وَكَيْفَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ  
إِذَا الْإِيمَانُ ضَاعَ فَلَا أَمَانٌ      وَلَا دُنْيَا لِمَنْ لَمْ يُحْيِ دِينَا  
وَمَنْ رَضِيَ الْحَيَاةَ بِغَيْرِ دِينٍ      فَقَدْ جَعَلَ الْفَنَاءَ لَهَا قَرِينَا

حَرْفَةٌ.

(١) تَضُوعٌ: تَفْرِحُ وَتَتَشَرُّ.

(٢) السَّنَا: الضِّيَاءُ.



وفي التوحيد للهمم اتحادٌ      ولن تبنوا العُلا مُتفرِّقينا  
تساندت الكواكبُ فاستقرَّت      ولولا الجاذبيَّةُ ما بقينا

﴿٣٨٨﴾ ﴿٣٨٩﴾ ﴿٣٩٠﴾

غَدَوْتُمْ فِي الدِّيَارِ بِلا ديارِ      وأنتم كالطُّيورِ بلا وُكُورِ  
وكلُّ صواعق الدُّنيا سهامٌ      لبيدِركم وأنتم في غرورِ  
أهذا الفقر في علم ومالٍ      وأنتم في القطيعة والنُّفورِ  
وبيعُ مقابر الأجدادِ أضحى      لدى الأحفادِ مدعاة الظُّهورِ  
سَيُعْجَبُ تاجرو الأصنام قُدَمَا      إذا سمعوا بتجَّار القبورِ

﴿٣٨٨﴾ ﴿٣٨٩﴾ ﴿٣٩٠﴾

مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ إِلَى الْعَالِي      على نهج الهداية والصَّوابِ  
وَمِنْ جِبْهَاتِهِمْ أَنْوَارٌ بَيْتِي      وفي أخلاقهم يُتلى كتاب  
أما كانوا جُدُودكم الْأَوَالِي      بِنَاةَ الْمَجْدِ وَالْفَنِّ الْعَجَابِ  
وليس لكم من الماضي تراثٌ      سوى شَكْوَى اللَّغُوبِ<sup>(١)</sup> والاكْتِئابِ  
وَمَنْ يَكُ يَوْمُهُ فِي الْعَيْشِ يَأْسًا      فما غَدُهُ سوى يوم العذابِ

﴿٣٨٨﴾ ﴿٣٨٩﴾ ﴿٣٩٠﴾

أَتَشْكُو أَنْ تَرَى الْأَقْوَامَ فَازُوا      بمجدٍ لا يراه النَّائِمُونَ  
مَشَوْا بِهِدْيِ أَوَائِلِكُمْ وَجَدُوا      وَضِيْعَتِ تَرَاثِ الْأَوَّلِينَ  
أَيُّحَرِّمُ عَامِلٌ وَرَدَ الْعَالِي      ويسعدُ بِالرُّقِيِّ الْخَامِلُونَ

(١) اللُّغُوبُ: التعب والإعياء.

أَلَيْسَ مِنَ الْعَدَالَةِ أَنْ أَرْضِيَ      يَكُونُ حَصَادُهَا لِلزَّارِعِينَا  
تَجَلَّى النُّورُ فَوْقَ الطُّورِ بَاقٍ      فَهَلْ بَقِيَ الْكَلِيمُ <sup>(١)</sup> بِطُورِ سِينَا؟

﴿٣٨٥﴾ ﴿٣٨٦﴾ ﴿٣٨٧﴾

أَلَمْ يُبْعَثْ لَأُمَّتِكُمْ نَبِيٌّ      يُوَحِّدُكُمْ عَلَى نَهْجِ الْوُئَامِ  
وَمَصْحُفِكُمْ وَقَبْلَتُكُمْ جَمِيعًا      مَنَارٌ لِلْأَخْوَةِ وَالسَّلَامِ  
وَفَوْقَ الْكُلِّ رَحْمَنٌ رَحِيمٌ      إِلَهٌ وَاحِدٌ رَبُّ الْأَنَامِ  
فَمَا نَارُ أَلْفَتِكُمْ تَوَلَّى      وَأَمْسَيْتُمْ حَيَارَى فِي الظَّلَامِ  
وَحَسَنَ اللَّوْلُؤُ الْمَكْنُونِ رَهْنٌ      صَوَّغَ الْعِقْدَ فِي حُسْنِ النَّظَامِ

﴿٣٨٥﴾ ﴿٣٨٦﴾ ﴿٣٨٧﴾

وَكَيْفَ تَغَيَّرَتْ بِكُمْ اللَّيَالِي      وَكَيْفَ تَفَرَّقَتْ بِكُمْ الْأَمَانِي  
تَرَكْتُمْ دِينَ أَحْمَدَ ثَمَّ عُذْتُمْ      ضَحَايَا لِلْهُوَى أَوْ لِلْهُوَانِ  
رَقِي الشَّعْبُ قَدْ أَضْحَى لَدَيْكُمْ      تَقَرُّوهُ صِلَاحِيَّةُ الزَّمَانِ  
وَكَيْفَ تُقَاسُ أَوْهَامٌ وَلَغْوٌ      بِحِكْمَةِ مَنْزِلِ السَّبْعِ الْمَثَانِ  
أَرَى نَارًا قَدْ انْقَلَبَتْ رِمَادًا      سَوَى ظِلِّ مَرِيضٍ مِنْ دَخَانٍ

﴿٣٨٥﴾ ﴿٣٨٦﴾ ﴿٣٨٧﴾

أَرَى الْفُقَرَاءَ عَبَادًا تَقَاءً      قِيَامًا فِي الْمَسَاجِدِ رَاكِعِينَا  
هُمْ الْأَبْرَارُ فِي صَوْمٍ وَفَطْرِ      وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَا  
وَلَيْسَ لَكُمْ سَوَى الْفُقَرَاءِ سِتْرٌ      يُوَارِي عَنْ عِيُوبِكُمُ الْعُيُونَا

(١) الكليم: لقب سيدنا موسى عليه والصلاة والسلام.



أضَلَّتْ أغنياءكم المَلاهِي      فهم في ريبهم يتردّدونَا  
وأهلُ الفقر ما زالوا كنوزًا      لـدين الله ربّ العالمينَا

﴿٣٤٥﴾ ﴿٣٤٦﴾ ﴿٣٤٧﴾

أرى التفكير أدركه خمولٌ      ولم تبق العزائم في اشتعال  
وأصبحَ وعظّمكم من غير سحرٍ      ولا نورٌ يُطلُّ من المقال  
وعند النَّاسِ فلسفةٌ وفكرٌ      ولكن أين تلقين (الغزالي<sup>(١)</sup>)  
وجلجلةُ الأذان بكلِّ أرضٍ      ولكن أين صوتٌ من بلالٍ  
منائرُكم علت في كلِّ حيٍّ      ومسجدُكم من العباد خالي

﴿٣٤٥﴾ ﴿٣٤٦﴾ ﴿٣٤٧﴾

فأين أئمةٌ وجنودٌ صدق      تهابُ شَبَاةٌ<sup>(٢)</sup> عزمهم الحرابُ  
إذا صنعوا فصنعهم المعالي      وإن قالوا فقولهم الصّوابُ  
مرادهم الإلهُ فلا رياءَ      ونهجهمُ اليقين فلا ارتيابُ  
لأمتهم وللأوطانِ عاشوا      فليس لهم إلى الدُّنيا طِلابُ  
كمثل الكأس تُبصرُها دِهَاقًا<sup>(٣)</sup>      وليس لأجلها صُنِعَ الشُّرابُ

﴿٣٤٥﴾ ﴿٣٤٦﴾ ﴿٣٤٧﴾

جِهَادُ المؤمنين لهم حياةٌ      ألا إنّ الحياةَ هي الجهادُ

(١) الغزالي: هو أبو حامد محمد الغزالي، أحد أعلام المسلمين، لقب «بحجة

الإسلام» صاحب مصنفات سائرة، توفي عام ٥٠٥ هـ بمدينة «طوس».

(٢) شَبَاةٌ، جمعها الشَّبَا والشبوات: شبابة كل شيء، أي حدُّ طرفه.

(٣) دِهَاق: مُتَلَي، يقال: كأس دِهَاق، أي ممتلئ.

عقائِدُهُمْ سِوَا عِدْ نَاطِقَاتٍ      وبِالْأَعْمَالِ يَثْبُتُ الْإِعْتِقَادُ  
وَخَوْفُ الْمَوْتِ لِلْأَحْيَاءِ قَبْرٌ      وَخَوْفُ اللَّهِ لِلْأَحْرَارِ زَادُ  
أَرَى مِيرَاثَهُمْ أَضْحَى لَدَيْكُمْ      مِضَاعًا حَيْثُ قَدْ ضَاعَ الرَّشَادُ  
وَلَيْسَ لَوَارِثٍ فِي الْخَيْرِ حِظٌّ      إِذَا لَمْ يَحْفَظِ الْإِرْثَ اتِّحَادُ

﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾

لَأَيِّ مَآثِرِ الْقَوْمِ أَنْتَسَبْتُمْ؟      لَتَكْتَسِبُوا فَخَارَ الْمُسْلِمِينَ  
فَأَيْنَ مَقَامُ ذِي النُّورِينَ <sup>(١)</sup> مِنْكُمْ      وَدَوْلَةُ عِزِّهِ دُنْيَا وَدِينَا  
وَفَقْرٌ عَلَيَّ الْأَوَابِ هَلَا      رِبْحَتُمْ فِيهِ كَنْزَ الْفَاتِحِينَ  
أَقِمْتُمْ فِي الذُّنُوبِ وَفِي الْخَطَايَا      وَتَغْتَابُونَ حَتَّى الصَّالِحِينَ  
وَهُمْ سَتَرُوا عِيُوبَ الْخَلْقِ فَضْلًا      وَإِنْ كَانُوا أَبْرَرَ الْمُتَّقِينَ

﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾

أَرِيكَ قَيْصَرَ <sup>(٢)</sup> وَسَرِيرُ كِسْرَى <sup>(٣)</sup>      قَدْ اخْتَمَيَا بِمُلْكِهِمُ الْعَوِمِ  
وَأَنْتُمْ تَطْمَحُونَ إِلَى الثُّرَيَّا      بِأَلَا عِزْمٍ وَلَا قَلْبٍ سَلِيمِ  
تَضِيعُونَ الْإِخَاءَ وَهُمْ أَقَامُوا      صُرُوحَ إِخَائِهِمْ فَوْقَ النُّجُومِ  
طَلَبْتُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَعَدْتُمْ      بِأَلَا زَهْرٍ يَضُوعٌ <sup>(٤)</sup> وَلَا شَمِيمِ  
وَكَانَ لَدَيْهِمُ الْبُسْتَانُ مُحْضًا      وَهُمْ أَصْحَابُ جَنَاتِ النَّعِيمِ

(١) هُوَ لَقَبُ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ سَيِّدِنَا عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قَيْصَرٌ: لِقَبِ مُلُوكِ الرُّومِ.

(٣) كِسْرَى: لِقَبِ مُلُوكِ الْفَرَسِ.

(٤) يَضُوعٌ: يَفْرُوحُ وَيَنْتَشِرُ.

(388) (389) (390)

يُعِيدُ الْكَوْنُ قِصَّتَهُمْ حَدِيثًا      وَيُنْشِئُ مِنْ حَدِيثِهِمُ الْفُنُونَا  
فَكَمْ نَزَحُوا عَنِ الْأَوْكَارِ شَوْقًا      إِلَى التَّخْلِيقِ فَوْقَ الْعَالَمِينَا  
وَيَأْسُ شَبَابِكُمْ أَدْمَى خَطَاهُمْ      فَظَنُّوا فِيهِ بِالذِّينِ الظُّنُونَا  
هِيَ الْمَدِينَةُ الْحَمَقَاءُ أَلْقَتْ      بِهِمْ حَوْلَ الْمَذَاهِبِ حَائِرِينَا  
لَقَدْ صَنَعْتُ لَهُمْ صَنَمَ الْمَلَاهِي      لَتَحْجَبَ عَنْهُمْ الْحَرَمَ الْأَمِينَا

(388) (389) (390)

لَقَدْ سَمَّ الْهَوَى فِي الْبَيْدِ قَيْسٌ <sup>(١)</sup>      وَمَلَّ مِنَ الشُّكَايَةِ وَالْعَذَابِ  
وَيَحَاوُلُ أَنْ يُبَاحَ الْعِشْقُ حَتَّى      يَرَى لَيْلَاهُ <sup>(٢)</sup> وَهِيَ بِلا حِجَابِ  
يَرِيدُ سَفُورَ وَجْهِ الْحُسْنِ لَمَّا      رَأَى وَجْهَ الْغَرَامِ بِلا نِقَابِ  
فَهَذَا الْعَهْدُ أَحْرَقَ كُلَّ غَرَسٍ      مِنَ الْمَاضِي وَأَغْلَقَ كُلَّ بَابِ  
لَقَدْ أَفْنَتْ صَوَاعِقُهُ الْمَغَانِي      وَعَاثَتْ <sup>(٣)</sup> فِي الْجِبَالِ وَفِي الْهَضَابِ <sup>(٤)</sup>

(388) (389) (390)

هِيَ النَّارُ الْجَدِيدَةُ لَيْسَ يُلْقَى      لَهَا حَطْبٌ سِوَى الْمَجْدِ الْقَدِيمِ  
خُذُوا إِيمَانًا إِبْرَاهِيمَ تَنْبَتْ      لَكُمْ فِي النَّارِ رَوْضَاتُ النَّعِيمِ  
وَيَذْكُو مِنْ دَمِ الشَّهْدَاءِ وَرَدُّ      سَنِيِّ الْعَطْرِ قَدْسِي النَّسِيمِ

(١) قيس: من أشهر عشاق العرب.

(٢) ليلي: من أشهر عاشقات العرب.

(٣) عاثت: أفسدت.

(٤) هَضَاب: جمع هَضْبَة، وهو جبل منبسط ممتد على وجه الأرض.



ويلمُعُ في سماء الكون لونٌ      من العُنَّابِ مخضوبُ الأديم  
فلا تفرغُ إذا المَرْجَانُ <sup>(١)</sup> أضْحى      عقودًا للبراعم والكُروم

﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾

فَكَمْ زالت رياضٌ منرباها      وكم بادَتْ نخيلٌ من في البوادي  
ولكنْ نخلةُ الإسلام تنمو      على مرِّ العواصف والعوادي  
ومجدُك في حمى الإسلام باقٍ      بقاء الشمس والسَّبع الشَّدادِ  
وإنَّك يوسفُ في أيِّ مصر      يرى كنعانه <sup>(٢)</sup> كلَّ البلادِ  
تسير بك القوافلُ مُسرعاتٍ      بلا جرس ولا ترجيع حادي

﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾

ضياؤك مشرقٌ في كلِّ أرض      لأنك غير محدود المكانِ  
بَغَتْ أممُ التَّار <sup>(٣)</sup> فأدركتها      من الإيمان عاقبةُ الأمانِ  
وأصبح عابدو الأصنام قُدَمًا      حماةُ الحجر <sup>(٤)</sup> والركن اليماني <sup>(٥)</sup>  
فلا تجزع فهذا العصر ليل      وأنت النجم يشرق كلَّ آنٍ  
ولا تخش العواصف فيه وانهض      بشُعلتك المضيئة في الزَّمانِ

(١) المَرْجَان: صغار اللؤلؤ.

(٢) كنعان: أرض فلسطين.

(٣) التَّار: قبائل كانت تسكن في أواسط آسيا، أصلهم من المغول، اشتهروا بغزواتهم، وأسلم كثير منهم بعد هجومهم على بغداد.

(٤) الحجر: يريد به الشاعر حجر الكعبة.

(٥) الركن اليماني: هو ركن الكعبة الذي فيه الحجر الأسود.



﴿ ٣٤٤ ﴾ ﴿ ٣٤٤ ﴾

|                            |                          |
|----------------------------|--------------------------|
| أعد من مشرق التوحيد نورًا  | يتمُّ به اتحاد العالمينا |
| وأنت العطرُ في روض المعالي | فكيف تعيش محتبسًا دفينًا |
| وأنت نسيمه فاحمل شذاه      | ولا تحمل غبار الخاملينا  |
| وأرسل شعلة الإيمان شمسًا   | وصُغ من ذرة جبلًا حصينا  |
| وكن في قمة الطوفان موجًا   | ومزنا يمطر الغيث الهتونا |

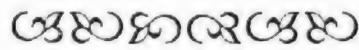
﴿ ٣٤٤ ﴾ ﴿ ٣٤٤ ﴾

|                                   |                             |
|-----------------------------------|-----------------------------|
| فباسم محمد شمس البرايا            | أقيمت خيمة الفلك المنير     |
| تلاًلاً في الرياض وفي الصحارى     | وفوق الموج والسيل المغير    |
| ونبض الكون منه مُستمدٌ            | حرارته على مرّ العصور       |
| ومن مراکش <sup>(١)</sup> يغزو صده | رُبوع الصّين بالصّوت الجهير |
| وما مشكاة هذا النور إلا           | ضمير المسلم الحرّ الغيور    |

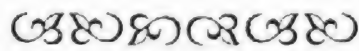
﴿ ٣٤٤ ﴾ ﴿ ٣٤٤ ﴾

|                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| ورفع الذكر للمختار رفعٌ   | لقدرك نحو غايات الكمال   |
| فكن إنسان عين الكون واشهد | مقامك عاليًا فوق المعالي |
| بخنجر عزمك الوثاب لاحت    | على الأعلام أنوار الهلال |
| نداؤك في العناصر مستجابٌ  | إذا دوى بصوت من بلال     |
| وعقلك في الخطوب أجلُّ درع | وعشقك خير سيف للنضال     |

(١) مراکش: مدينة تقع في المغرب الأقصى.



|                                       |                          |
|---------------------------------------|--------------------------|
| بمجدك وهو للدنيا سماء                 | خلافه هذه الأرض استقرت   |
| صغيراً كل ما ضمّ الفضاء               | وفي تكبيرها القدسي يبدو  |
| وأيقظ صدق غيرته الوفاء                | فيما من هب للإسلام يدعو  |
| تشاهد أن ساعدك القضاء                 | سترفع قدرك الأقدار حتى   |
| وشأنك والخلود كما تشاء <sup>(١)</sup> | وقيل لك احتكم دنيا وأخرى |



□ والله در القائل:

|                                     |                             |
|-------------------------------------|-----------------------------|
| وأس في قلبي جراح الزمن              | أيها الساقى! من النور اسقني |
| قيصر يعنوها كالخدم                  | شعلة الماء التي من زمزم     |
| وشعاب الفكر منها أنور               | مقلعة المبصر منها أبصر      |
| وتري الثعلب ليثاً زائراً            | تجعل الريشة طوداً قاهراً    |
| وتعي القطرة منها أبحراً             | هي تسمو للثريا بالثرى       |
| نور الفكر بنور القمر <sup>(٢)</sup> | املا الكأس بصفو ونير        |



(١) «ديوان إقبال» (١/ ٩٣ - ١١٠).

(٢) «ديوان إقبال» (١/ ١٢٩).





□ وعن دناءة الهمم يقول:

جوهراً الأسادِ أضحى خزفاً  
ذلك القلبُ عن الصدرِ نأى  
فدوى في القلبِ شوق العملِ  
ذهب الإقدامُ والعزمُ الأيلُ  
بُرثن الفولاذِ فيها قد وهنُ  
ونما الخوفُ بنقص المنّة  
كلُّ داءٍ في سقوط الهمم  
نامت الأسد بسحر الغنم

وقال في الخور والعجز:

□ قال إقبال رَحِمَهُ اللهُ:

يحسب العجزُ قنوعاً خانعُ  
قاطعُ سُبُلِ الحياةِ الخورُ  
قلْبُهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فارغُ  
في كمينٍ راصدٌ هذا اللئيمُ  
احذرْ يا صاحٍ مِنْ تزيينه  
إنَّه يخفى على أهل النظرِ

حين صار القوتُ هذا العلفا  
جوهراً المرأة فيها صديدا  
وهيامُ السَّعي خَلْفَ الأملِ  
والسَّنا والعزُّ والمجدُ الأثيلُ  
واستكان القلب في قبرِ البدنِ  
قَطَعَ الخوفُ جذورَ الهمة  
يجعل الأحياء مثل الرَّمَمِ  
سَمَّتِ العجزَ ارتقاءَ الأُممِ<sup>(١)</sup>

لصروف الدهر ذلُّ طائعُ  
قلْبُهُ خَوْفاً وكذباً يُضمَرُ  
ليثُهُ في كُلِّ خبيثٍ والغُ  
فاحذرْ يا صاحبَ العقلِ السليمِ  
إنَّه الحِرْباءُ في تلوينه  
لَبَسَ الحقَّ عليهم واستتر

(١) «ديوان إقبال» (١/١٤٦ - ١٤٧).

وهو حيناً في اتضاع يُسْتَر  
وهو طوراً في حجابِ القَدَر  
يُلبسُ الصَّحَّةَ ثوبَ الدَّنْفِ<sup>(١)</sup>

في ثياب اللين حيناً يظهرُ  
وهو طوراً في ثيابِ المُجَبَّرِ  
وهو حينً في لباس التَّرفِ

### وعالي الهمّة :

□ يقول عنه إقبال رَحِمَهُ اللهُ :

شُعْلَةٌ يرمي بها الكونَ الغدُ  
ضَاءٌ من صبح غِدِّ أَبْصَارُنَا<sup>(٢)</sup>  
أنت يا نوراً لعين الممكن  
وتمكّن في سواد الأَغْنِ  
واملاً الأَذانَ زهَرَ النِّعَمِ  
وأدرها كأسَ حُبٍّ وصفاءٍ  
وأعدّ في الأرض أيام الوئام  
أنت من ركب الحياة المنزلُ  
فاغدّ في الروض ربيعاً نضراً  
في جهاد الكون نمضي كالشُّعْلِ<sup>(٣)</sup>  
أنت في الكونين أعلى منزلاً

في رماد اليوم منّا ترقُّدُ  
روضةٌ تُضمّرها أكمامنا  
أنت يا فارسَ طِرفِ الزَّمنِ !  
موكبَ الإنشاءِ هيّا زَيْنِ  
قُمْ فسكّن من ضَجيجِ الأممِ  
جدّدن في الناس قانون الإخاءِ  
أبلغ الناس رسالاتِ السَّلامِ  
من بني الإنسان أنت الأملُ  
أذبلت كَفَّ الخريف الشجرا  
نحن من فيضك نسمو للقللِ  
أيّها الغافلُ عَمَّا حُمِّلَا

(١) «ديوان إقبال» (١/١٥٨ - ١٥٩).

(٢) الأكمام جمع كم: الزهرة قبل أن تنفتح، يقول: إن الكم عندنا سينفتح عن روضة، وعيوننا تضيء بنور المستقبل.

(٣) «ديوان إقبال» (١/١٥٧ - ١٥٩).



افتحنُ عينا وأُذْنَا وفما

تُبصر الحقَّ طريقًا مُعلًما<sup>(١)</sup>

قوة الذات وعلو الهمة:

قوة الذات حفظنها أبدا

وكن الألماس لا تقطر الندى

أنضج القطرة كالطود تُرى

حاملاً غيماً مُفيضاً أنهرا

أثبت الذات وفيها حَقَّق

فضةً كن بالتئام الزئبق<sup>(٢)</sup>

ومن الذات أبْن أسرارها

حرَّكن عن لحنها أوتارها<sup>(٣)</sup>

قصة الألماس والفحم:

قصةً أخرى بها أدلي إليك

يفتح الحقُّ بها باباً عليك:

قال للألماس فحمُ المعدن:

يا حليفَ النور طول الزَّمن!

نحن صنوان نمانا والدُّ

أصلنا في الكون أصلٌ واحدٌ

وعلى التيجان أنت الزينةُ

وأنا في التُّرب حظِّي الذَّلَّة

لك حسنٌ في المرايا يسطعُ

وأنا مِن كفِّ ترب أضيعُ

من ظلامي قد أضاء المجرُّ

ورماداً آض في الجوهر

مَوطئ الأقدام بين البشر

قدرموا في مهجتي بالشرر

إنَّ حالي بيكاء لحري

هل ترى أصلي وفصلي هل ترى؟

(١) «ديوان إقبال» (١/١٥٧ - ١٥٩).

(٢) كن في صلاية الفضة باجتماع الذرات المضطربة كالزئبق.

(٣) «ديوان إقبال» (١/١٦٣).

إِنِّي مَوْجٌ دُخَانٍ يُعَقَّدُ  
وَمِنَ الْأَنْجَمِ فِيكَ الرَّوْنَقُ  
تَارَةً نَوْرٌ بَعَيْنِي قِصْرًا  
كُلُّ مَا فِي شَرَارٍ يَصْعَدُ  
كُلُّ جَنْبٍ فِيكَ نَوْرٌ يُشْرِقُ  
تَارَةً فَصٌّ يَزِينُ الْحِنْجَرَا

محاورة نهر الجَنَح وجبل همالا.. ومعنى دوام حياة الأمة في التمسُّك بسنتها:

|                                   |                                             |
|-----------------------------------|---------------------------------------------|
| جاش نهر الجَنَح يوماً جائلاً      | في سفوح من همالا قائلاً: <sup>(١)</sup>     |
| صاغك الحقُّ نجياً للسماء          | وحمى رجلَك سيراً في العراء                  |
| قَيَّدتَ رجلَك عن سير فما         | هيبةً فيك ورأسٌ قد سما؟                     |
| إنما العيشُ مسيرٌ وُصلاً          | وحياةُ الموج في أن يجفلاً                   |
| غَضِبَ الطَّودُ لقول النَّهْرِ    | فرمت أنفاسُه بالشررِ                        |
| قال: يا مرآة وجهي! ويلكا          | كم حوى صدري بخاراً مثلكا                    |
| إنَّ هذا السَّيرَ فيه الحَينُ لكُ | من يزل عن نفسه يوماً هلكُ                   |
| بمقام لك هلاً تابَه!              | أفخارٌ بالرَّدى يا أبله!                    |
| يا وليد الفلك المرتفع!            | صُرْتَ دونَ السَّاحلِ المتَّضِعِ            |
| قد وهبتَ النَّفْسَ بحرًا غاصبا    | وأبحتَ الرُّوحَ لصاً سالبا                  |
| كُنْ كوردي في رُباه عاكفِ         | لا تَرمُ للريح كَفَّ القاطفِ <sup>(٢)</sup> |
| إنما العيشُ نِماءً في المكانِ     | وبروضِ الذاتِ قطفُ الأقحوانِ                |
| في دهورٍ لم تُزَحْزَحْ أرجلي      | أثراني زائلاً عن منزلي؟                     |

(١) الخطاب من نهر الجَنَح لجبل همالا، وخلاصة المحاورة: أن النهر يعيِّر الجبل بالعجز عن المسير فيجيب الجبل بأن البقاء في ثبات الكائن في مقامه، وأنَّ الفناء في زواله عن مقوماته. وهذه المحاورة تصوِّر رأي إقبال في إثبات الإنسان ذاته وتقويتها، وأنَّ نفيها، أو الغفلة عنها يودي بها.

(٢) الريح: الرائحة. لا ترم أن يقطفك الناس لتفوح رائحتك.



وإلى الأفلاك قَدِّي يصعد  
 أنت تَفْنَى في خِضَمِّ خِضْرِمِ  
 وبعيني لاح سرُّ الفلكِ  
 وبنارِ الجدِّ طولَ الدَّهْرِ  
 «صخرٌ قلبي وناري في الصَّخرِ»  
 قطرةٌ إن كنت فاحفظ نفسك  
 وابتغِ النُّورَ وكنْ درًّا يُضِيءُ  
 أو فزد واعلُ سحابًا ممطرًا  
 يبسط البحرُ لجدواك يدا  
 فهو في فيضك دون الموجهِ  
 مَنْ كانوا علَاة الهمم وزينة الدنيا:  
 صِرْتُ يا إكسِيرُ تُرْبًا سافلا  
 اقطع الأكوان حُرًّا لا تَهْنُ  
 إيه يا غافلُ عن أصل الزَّمانِ  
 فعلى سفحي الثُّريا ترقد  
 وقلالي مسجدٌ للأُنجمِ  
 وبسمعي طيرانُ الملكِ  
 قد حوى صدري صنوفَ الجوهرِ  
 ليس للهاءِ إلى ناري ممرٌ  
 جاهد الأمواج واجنُبْ يأسكا  
 ثم كن قُرْطًا على وجهٍ وضيء  
 يُشعل البرق ويهمي أبحرا<sup>(١)</sup>  
 شاكيًا من فاقةٍ يرجو النَّدَى  
 وهو في جدواك بادي الذَّلَّةِ<sup>(٢)</sup>  
 يا وليدَ الحقِّ صِرْتُ الباطلا  
 شمعةٌ في محفل الأحرارِ كُنْ  
 كيف تدري ما خلود الحيوان<sup>(٣)(٤)</sup>

(١) إن كنت ماءً فاحفظ نفسك في البحر حتى تصير لؤلؤة، أو كن سحابا.

(٢) «ديوان إقبال» (١/ ١٦٥ - ١٦٧).

(٣) الحيوان: الحياة.

(٤) انظر «ديوان إقبال» (١/ ١٧٤).

□ وقال:

أَيْنَ أَيَّامٍ بِهَا سَيْفُ الدَّهْرِ  
قَدْ غَرَسْنَا الدِّينَ فِي أَرْضِ الْقُلُوبِ  
وَمِنَ الدُّنْيَا حَلَلْنَا الْعُقَدَا  
مَنْ كُؤُوسِ الْحَقِّ صَرَفْنَا الرَّحِيقَ  
كَأُسْنَا كَانَتْ سِرَاجَ الْمُحْفِلِ  
إِنَّ هَذَا الْعَصْرَ مِنْ آثَارِنَا  
رَوْضَةُ الْحَقِّ ارْتَوَتْ مِنْ دَمِنَا  
كَبَّرَ الْعَالَمُ مِنْ تَكْبِيرِنَا  
«اقْرَأْ» الْحَقُّ لَنَا قَدْ عَلَّمَا  
فَلَدِينَا عِزَّةً مِنْ «لَا إِلَهَ»  
قَدْ تَرَكْنَا غَمَّ أَمْسٍ وَغَدِ  
نَحْنُ وَرَاثُ هِدَاةٍ لِلْبَشَرِ  
لَا تَزَالُ الشَّمْسُ تُبَدِّي نَوْرِنَا  
ذَاتِنَا الْمِرَاةَ لِلْحَقِّ، اَعْلَمْ

صَرَفْتُهُ فِي أَيَادِينَا الْقُدْرَا  
وَجَلَوْنَا الْحَقَّ مِنْ سِتْرِ الْغُيُوبِ  
وَاسْتَنَارَ التُّرْبُ مِنْنَا سُجَّدَا  
وَهَدَمْنَا حَانَةَ الْعَصْرِ الْعَتِيقِ  
صَدَرْنَا كَانَ لِقَلْبٍ مُشْعَلِ  
مَنْ عَجَاجِ ثَارٍ فِي تَسْيَارِنَا  
عَزَّ أَهْلُ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا بِنَا  
كَعَبَاتٍ شَادَ مِنْ تَعْمِيرِنَا  
بِيَدِينَا رِزْقَهُ قَدْ قَسَمَا <sup>(١)</sup>  
نَحْنُ لِلْكَوْنَيْنِ حُرَّاسُ أَبَاهِ  
وَوَفِينَا الْحَبِيبَ أَوْحَدِ  
نَحْنُ عِنْدَ الْحَقِّ سُرٌّ مَدَّخِرِ  
غِيْمُنَا فِيهِ بِرُوقٍ وَسَنَا  
آيَةُ الْحَقِّ وَجُودُ الْمُسْلِمِ <sup>(٢)</sup>



(۱) یشیر الی قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾.

(۲) «دیوان اقبال» (۱/ ۱۷۶ - ۱۷۷).

## عالي الهمّة:

نائج والليل ساج سادلُ      يهَجُّ الناسُ ودمعي هاطلُ  
تصطلي روعي بحزنٍ وألمُ      وردُ «يا قيوم» أنسي في الظلمُ  
أملًا في الصدر صيرتُ دما      ليرى في أدمعي مُنسجما  
ما احتراقي كشقيق أبدا      فيم أستجدي من الفجر الندى (١)  
أنا كالشمع دموعي غسلي      في ظلام الليل أذكى شعلي  
محفلُ الناس بنوري يُشرقُ      أنشرُ النور ونفسي أحرقُ  
ما لناري في الحشا من فترة      ما بأسبوعي فراغُ الجمعة (٢)  
إنَّ روعي في سحيق الجسد      آهةً ثوبَ غبارٍ ترتدي (٣)  
مُذْبراني الحقُّ فجرَ الخلقة      زلزلتُ أوتارَ عودي أنّتي  
أنّةٌ للعشق تُفشي سرّه      آهةً في العشق تُذكي جمره  
تعجل العصفَ لهيبًا يُحرقُ      وفراشًا من ترابٍ تخلق (٤) (٥)

﴿٣٨﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٨﴾

- (١) الشقيق: زهر أحمر بجعله الشعراء مثلاً للاحتراق. ويقول إقبال: ما هذا الاحتراق الذي هو لون لا حقيقة له، ولماذا أستجدي الندى من الفجر كالشقيق وغيره من الزهر. أنا أحترق بناري كالشمع وأتخذ من دمعي ندى.
- (٢) أيامه كلها عملٌ وجهدٌ، ليس فيها يوم راحة.
- (٣) روحه آهة والجسد تراب يسترها كما يتردى الإعصار بالغبار.
- (٤) تعجل العصف - وهو الهشيم ضعيف اللهب - نارًا قوية تحرق غيرها، وتخلق من التراب فراشًا هائمًا يهفو على النار.
- (٥) «ديوان إقبال» (١/ ١٨٩).



لا.. لا يا قيود الأرض.. الأرض لا تحدني وتعوقني:

|                                            |                               |
|--------------------------------------------|-------------------------------|
| لا يُرَى في تيهه «أننى وكم» <sup>(١)</sup> | لا تحدُّ الأرض قلبَ المسلم    |
| حائرٌ في قلبه كلُّ وطن <sup>(٢)</sup>      | ليس للمسلم في الأرض عَطنٌ     |
| ضلَّ هذا الكونُ في فسحته                   | حصَّلَ القلبُ ففي وسعته       |
| هجر الدارَ الإمامَ الأعظم <sup>(٣)</sup>   | عقدة الأقوات حلَّ المسلمُ     |
| جعل التَّوحيد فيها أسسا                    | أمة ملء الدُّنى قد أسسا       |
| إذ أشاع الفضلَ فينا وهدي                   | صارت الأرض لدينا مسجدا        |
| ذلك المحفوظُ بالله الرَّحيم                | ذلك المحمودُ في الذكرِ الحكيم |
| في ارتعادٍ من سنا طلعتِه                   | تفزَّعُ الأعداءُ من هيبتِه    |
| أتراه خشية الأعداء فرَّ؟                   | فلماذا أرض أهليه هجر؟         |
| غلطوا في فهم معنى الهجرة                   | حجبَ القصَّاصُ معنى القصَّةِ  |
| هجرة سرُّ ثباتِ المسلم                     | هجرة شرُّ حياة المسلم         |

(١) أي: لا يتيه في عالم العِلل والمقادير.

(٢) يقول إقبال في ديوان «ضرب الكليم»:

إنما الكافر حيرا وأرى المؤمن كوثا  
ن له الآفاق تيه تاهت الآفاق فيه

يعني: أن المؤمن المجاهد لا تعوقه ولا تحيره عقبات هذا العالم، بل يسخرها كما يشاء.

(٣) الإمام الأعظم رسولُ الله ﷺ.

إنها التَّسيار نَحْو الوُسْعَةِ      ولأجل اليمِّ ترك القطرة<sup>(١)</sup>  
 اهجر الزَّهرة أَجَلَ الروضة      إِنَّ هذا الخسرَ ربحُ الكثرة  
 شرفُ الشَّمْسِ مسيرٌ مطلقٌ      فيه من فوق البرايا تحفُّق  
 لا تكن نهرًا من السُّحب يُمدِّ      وكن البحرَ، عبابًا لا يُحدِّ  
 اقصدن تسخير كلِّ العالم      لترى لسلطان أهلِ العالم  
 لا يقيِّدُك مُقامٌ في الوري      وكن الحوتَ يَسِيحُ الأبحرا  
 كلُّ من حُرِّرَ مِنْ ذُلِّ الجهات      فلكُ يُزهرُ مِنْ كلِّ الجهات  
 ترك الوردَ شذاهُ فسرى      في فسيح المَرْجِ عطراً نَشرا  
 يا أسيراً قد ثوى في روضة      عندليباً هائماً في وردة!  
 سيرنَ نفسك حرّاً كالصِّبا      ثم عانق كلَّ أزهار الرُّبى  
 فانتظِم في سلكه كالدرِّ      أو غباراً في الرِّياح انتشر<sup>(٢)</sup>



إنما الحياة هكذا: علو الهمّة والعيش بين الخطر:

□ قال إقبال رَحِمَهُ اللهُ:

سرُّ هذا الأمرِ يا ذا البصر: «الحياةُ العيشُ بين الخطر»

(١) في القرآن الكريم: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧] فالهجرة ترك المكان الذي يعسر فيه العمل إلى المكان الذي يتيسر فيه أداء الواجب.

(٢) «ديوان إقبال» (١/ ٢١٧ - ٢١٨).

يَتَحَدَّكَ بِرُضْوَى الْعَالِيَةِ  
وَيُنَادِيكَ أَنْ اقْصِمِ ظَهْرَهَا  
لَيْسَ كَفَاءَ اللَّيْثِ فِي صَوْلَتِهِ  
إِنْ حَكَى الصَّعْوَةَ صَقْرٌ كَاسِرٌ  
كَتَبَ الشَّارِعُ رَبُّ الْحِكْمَةِ  
يَشْحَذُ الْعِزْمَ بِنَارِ الْعَمَلِ  
وَإِذَا تَلَغَّبَ يُعْطِيكَ الْقُوَى  
إِنَّ دِينَ الْمُصْطَفَى دِينُ الْحَيَاةِ  
إِنْ تَكُنْ أَرْضًا يَصِيرُكَ السَّمَاءُ  
يَصْقِلُ الْمِرَاةَ مِنْ صَخَرٍ شَدِيدٍ  
ضَيَّعَ الْقَوْمُ شِعَارَ الْمُصْطَفَى  
ذَلِكَ الْغَصْنُ الْعَسِيُّ الْمَعْتَلِي  
الَّذِي الْبَطْحَاءُ أَزَكَّتْ غَرْسَهُ  
أَذْبَلَتْهُ الْيَوْمَ رِيحُ الْعَجَمِ  
قَاتِلُ الْأَسَادِ ذَبَحَ الْغَنَمَ  
مَنْ أَذَابَ الصَّخَرَ مِنْ تَكْبِيرِهِ  
مَنْ عَلَا الطُّودَ سَرِيعًا مُصْعِدًا  
مَنْ بَرَى الْأَعْنَاقَ ضَرْبًا عَضْبُهُ  
مُوقِظُ الْآفَاقِ مِنْ خَطَوَاتِهِ

فِي امْتِحَانٍ لِقَوَاكِ الْعَاتِيَةِ  
وَبَحْدِ السِّيفِ فَاصْهَرْ صَخْرَهَا  
حَمَلٌ يَرْجَفُ فِي ذَلَّتِهِ  
فَهُوَ كَالصَّعْوَةِ وَاهٍ خَائِرٌ  
لَكَ هَذَا اللَّوْحُ، لَوْحَ الْقُدْرَةِ  
وَيَرْقِيكَ لِأَعْلَى مَنْزِلِ  
وَيَرْبِي مِنْكَ طُودًا مَا خَوَى  
شَرْعُهُ لِلنَّاسِ قِسَانُونَ الْحَيَاةِ  
وَيَرْبِيكَ كَمَا الْحَقُّ يَشَاءُ  
وَيَنْقِي الرِّينَ مِنْ قَلْبِ الْحَدِيدِ  
ضَيَّعُوا رَمَزَ بَقَاءِ عُرْفَا  
مُسْلِمِ الصَّحْرَاءِ رَبِّ الْجَمَلِ  
وَرِيَا حُ الْبِيدِ رَبَّتْ نَفْسُهُ  
صَيَّرَتْهُ النَّسَائِي رُوحَ الْعَجَمِ  
وَطَاءُ نَمَلٍ مَسَّهُ بِالْأَلَمِ  
رَاعَهُ الْبَلْبَلُ فِي تَصْفِيرِهِ  
غَلَّ بِالتُّكْلَانِ رَجُلًا وَيدَا  
يَلْدِمُ الصَّدْرَ وَيَدْمَى قَلْبُهُ  
قِيَّدَتْ رَجُلَاهُ فِي خَلَوَاتِهِ



من أطاع الناس طرّاً أمره      واجتدى داراً وكسرى برّه  
رضى القنع وأكدى جدّه      وارتضى الكذبة عزّاً جدّه

(380) 60 (380)

كميات الفرد تفتنى الأمم      ولها يوماً قضاءً يُحتم  
أمة الإسلام تأبى أجلاً      أصلها الميثاق في ﴿قَالُوا بَلَى﴾ (١)  
لا تخاف الموت هذي الأمة      ﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا﴾ لديها حجة (٢)  
دام ذكر ما أقام الذّاكر      بدوام الذّكر دام الذّاكر (٣)  
ذلك المصباح أنى يُطفأ؟      قال ربي عالماً: ﴿أَنْ يُطْفِئُوا﴾ (٤)  
أمة الحقّ إلى الحقّ تُنبّ      أمةٌ يُعشّقها أهلُ القلوب (٥)  
مُضلتُ بالحقّ ذا السّيفِ الصّقيل      مُضلتُ من غمد آمال الخليل (٦)

(١) إشارة إلى الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢] يعني: أنها قائمة على عقيدة أزلية عامة خالدة فهي دائمة بدوام هذه العقيدة.

(٢) إشارة إلى الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ١].

(٣) المعنى: إن كان الذكر محفوظاً فلا بدّ أن يدوم الذّاكر، فلا ذكر بدون ذاكر.

(٤) الآية: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

(٥) إلى الحقّ تنيب: الحق هنا الله تعالى.

(٦) إبراهيم الخليل: كان يأمل أن تخرج من ذريته أمة موحدة فانجلت آماله عن هذه الأمة.

ما سوى الحقِّ محاهُ برُّقه  
 نحنُ للتَّوحيدِ أقوى حجة  
 روضنا كان لهيبُ التترِ  
 فلا إبراهيمَ فينا فطرةً  
 إلى المولى لدينا نسبةً  
 نارَ نمرودٍ ردَدْنَا كوثرًا  
 زهرا ت حين تأتي روضنا  
 كلُّ نارٍ يوقدُ الدهرُ لنا

﴿١٥١﴾

ذهب الروم وفُضَّ الموكبُ  
 كأسُ ساسان من الغمِّ دمُ  
 عابدُ الواحدِ! وحَّد واهجرن  
 أيُّها المغفل معنى الكلم  
 شرقها أقوى وأقوى المغربُ  
 حانُ يونان خرابٌ مُظلمٌ<sup>(٣)</sup>  
 كلُّ تفريقٍ وللحقِّ ارجعن  
 أثبتن في القلب ألفاظَ الفم  
 مات إيمانٌ إذا لم يعمل<sup>(٤)</sup>  
 قوَّةُ الإيمانِ زد بالعمل

(١) إشارة إلى الآية: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ

﴿١٥١﴾ [البقرة: ١٥١].

(٢) يعني: كانت نار التتر علينا بردًا وسلامًا، بل كانت روضة لنا كما كانت النار لإبراهيم.

(٣) ساسان الذي تنسب إليه دولة الفرس الساسانية التي سيطرت من القرن الثالث الميلادي.

(٤) «ديوان إقبال» (١/ ٢٣٦ - ٢٣٨).





حَيٌّ فَرَّدَ نَفْسَهُ قَدْ عَرَفَا  
 عَنْ طَرِيقِ الْمُصْطَفَى لَا تَذْهَبُنْ  
 عَالِي الْهَمَةِ سَمَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى :  
 □ قَالَ إِقْبَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

قَدْ سَمَا الْمُسْلِمُ أَعْلَى مَنْ سَمَا  
 وَرَدُهُ ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ فِي الْمَازِقِ  
 حَمَلُ الْكَوْنَيْنِ طَرًّا ظَهْرُهُ  
 أَدْنَاهُ لِلرَّعْدِ إِمَّا جَلْجَلًا  
 قَاتِلُ الزُّورِ، وَلِلْحَقِّ وَزَرُ  
 جَمْرُهُ كُلُّ لَهَبٍ فِي حَشَاهُ  
 لَيْسَ فِي ضَوْضَاءِ هَذِي الْأُمَمِ  
 هُوَ فِي الْعَفْوِ فِي الْبَذْلِ عَظِيمُ  
 لُطْفُهُ فِي الْحَفْلِ جَبْرُ الْمُنْكَسِرِ  
 هُوَ فِي الرُّوضِ صَفِيرُ الْبُلْبُلِ  
 قَلْبُهُ تَحْتَ سَمَاءٍ لَا يَقَرُّ  
 طَائِرٌ يَنْقُرُ نَجْمَ الْحُبِّكَ  
 لَيْسَ يَرْضَى بِمُسَامٍ فِي السَّمَا  
 ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ تَاجُ الْمَفْرِقِ  
 وَحَوَى بَرًّا وَبَحْرًا صَدْرُهُ  
 صَدْرُهُ لِلْبَرْقِ إِمَّا نَزْلًا  
 أَمْرُهُ الْمَعْيَارُ فِي خَيْرٍ وَشَرٍّ  
 جَوْهَرٌ فِيهِ كِمَالٌ لِلْحَيَاةِ  
 نَغْمَةٌ إِلَّا أَذَانَ الْمُسْلِمِ  
 وَهُوَ حِينَ الْقَهْرِ ذُو طَبْعٍ كَرِيمٍ  
 قَهْرُهُ فِي الْحَرْبِ صَهْرٌ لِلْحَجَرِ  
 وَهُوَ فِي الْبَيْدِ انْقِضَاضُ الْأَجْدَلِ  
 هُوَ فَوْقَ الزُّهْرِ مَا إِنْ يَسْتَقَرُّ  
 طَائِرًا فِيهَا وَرَاءَ الْفَلَكَ

|                                                                                                                                                                                       |                                                                                                                                                                     |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>دودةٌ في ظلمةِ التُّرابِ تُراح</p> <p>قد أصبتَ الذُّلَّ من هَجَرِ القُرآنِ <sup>(١)</sup></p> <p>بالكتابِ الحيِّ أُمسكتَ يدا</p> <p>اصعدنْ فوقِ السمواتِ العُلى <sup>(٢)</sup></p> | <p>أنتَ، يا مَنْ لم يَطِرْ منك جَنَاحُ!</p> <p>مستكينٌ تشتكي جورَ الزَّمانِ</p> <p>قد هَبَطْتَ الأرضَ طُهرًا كالنَّدى</p> <p>فإِلامَ العيشِ في التُّرابِ؟ ارحلا</p> |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

دليلُ القلب لا يرضى نزولاً ولا يرضيه ماؤك والترابُ  
فلا تحسبه في جسدٍ مقيماً فلا يرضى بشطّ ذا العُباب

﴿٣٨٥﴾ ﴿٣٨٦﴾ ﴿٣٨٧﴾

إلام تعيش في رثّ الإهاب؟ إلام تعيش نملاً في تراب؟  
فَطِرٌ كالصَّقر معزماً وحلّق إلام أسيرُ حبٍّ في اليّاب؟  
نصيحة صقر لفرخه:

تعلّم بنيّ بأنّ الصُّقورُ لها قلبٌ ليثٌ وجسمٌ صغير  
فكنْ مُحْكَمَ الرأى شهماً جسوراً عليّ السجايا أيباً غيورا  
بُغاث الطيور اهجرنها بعيدا ودعها إذا لم تُردْ أن تصيدا  
فتلك الرعايدُ نسلُ اللثام تدسّ مناقيرها في الرغام  
أرى البازَ صيداً لما اصطاده إذا قلّد الصيد ما اعتاده<sup>(١)</sup>  
فكم باشقٍ قد أتاه النّوى بصحبة لقاطٍ حبّ هوى  
فنفسك فاحفظْ وعش في جذل جريئاً متيناً قويّ العضل  
ودعْ للدرايج<sup>(٢)</sup> لينَ الجسدِ وكن مخلّباً كالمدى أو أحد  
متاع الحياة، تعلّم، جهادٌ وصبرٌ على محنة واجتهاد  
نقول لفرخ عقاب عتيق «بريق الدماء يفوق العقيق»

(١) يعني: إنّ قلّد الصقر الطيور الضعيفة التي يصطادها في عاداتها كان هو صيداً لها مغلوباً على أمره.

(٢) الدرايج: جمع دراج وهو طائرٌ معروف.

تَوَحَّدْ كَقَوْمِكَ مِنْذِ الْقِدَمِ  
بِأَلَّا نَقِيمَ بَظْلٌ وَسَاقِ  
فَسِيحُ الْفِيَا فِي لَنَا وَالْجِبَالِ  
حَبَانَا إِلَهَ عَنَانِ السَّمَاءِ  
فَأَشْرَفُ مِنْهُ حِمَامٌ مُرِيبٌ  
يَحْدُ نَخَالِبُهُنَّ الصَّخَرُ  
كَأَنَّكَ عَنْقَاءُ جَوْ مَتِينِ  
كَفِيلُ بِنَاسَانِ عَيْنِ النَّمْرِ  
مِنَ الشَّهْبِ <sup>(٢)</sup> فَيْكَ كَرِيمِ الْعُرُوقِ  
وَكُلُّ مَا أَصَبْتَ يَبْسًا وَرَطْبًا  
وَكُنْ رَاشِدًا وَاسْتَمِعْ لِلرَّشْدِ <sup>(٣)</sup>

وَلَا تَبْغِ سِرْبًا كَسِرْبِ الْغَنَمِ  
سَمِعْتُ وَصَاةَ الصُّقُورِ الْعِتَاقِ  
فَلَيْسَ لَنَا فِي رِيَاضِ مَجَالِ  
وَلَقَطْتُكَ حَبًّا بِأَرْضِ خَطَاءِ  
فَأَمَّا خَطِي فِي التَّرَابِ النَجِيبِ <sup>(١)</sup>  
فَإِنْ بِسَاطِ الْبَزَاةِ الْحَجَرِ  
نَمَاكَ الْأَوَابِدُ زَرْقِ الْعَيُونِ  
أَصِيلٌ أَبِي يَوْمِ الْخَطَرِ  
جَنَاحُكَ مِنْ سَطَوَاتِ الْبُرُوقِ  
فَطَرَّ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تَخْشِ خَطْبَا  
وَلَا تَقْبَلَنَّ طَعْمَةً مِنْ أَحَدٍ  
حَيَاتِكَ فَابِغِ فِي الْخَطَرِ الْجَلِيلِ؛

فَقَالَ سَأَقْصِدُ الْبَلَدَ الْحَرَامَا  
فَلَا أَسْتَطِيعُ فِي أَرْضِ مُقَامَا  
وَأَنْفِي الْغَمِّ عَنْ قَلْبِي الْمَعْنَى  
حَيَاتِكَ فَابِغِ فِي الْخَطَرِ الْجَلِيلِ

غَزَالٌ بَثَّ شَكْوَاهُ غَزَالًا  
أَرَى الصَّيَّادَ حَوْلِي كُلَّ حِينٍ  
أَبْدَلْ خَيْفَةَ الصَّيَّادِ أَمْنًا  
أَجَابَ رَفِيقُهُ أَنْ يَا خَلِيلِي

(١) يعني: الصقر ونحوه.

(٢) الشهب: أي البيض، وفيها تورية بشهب السماء.

(٣) «ديوان إقبال» (١/ ٢٨٥ - ٢٨٦).



وَنَفْسَكَ فَاشْحَذْنِي فِي كُلِّ آنٍ  
فَفِي الْأَخْطَارِ لِلْهِمَمِ اخْتِبَارُ  
فِطْرَتِي لَا تَرْتَضِي دَعَةَ الْمَنَازِلِ؛

مَاذَا أَقُولُ وَفِطْرَتِي  
قَلْبِي عَلَى قَلْقٍ كَمَا  
فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى جَمِيلٍ  
خَفَقَ الْفَوَادُ إِلَى الَّذِي  
فَمَنْ الشَّرَارُ إِلَى النُّجُومِ  
إِنِّي لِيَهْلِكُنِي الْقَرَارُ فَمَا  
وَإِذَا شَرِبْتُ مِنَ الرَّبِّيعِ  
أَشْدُو بِشَعْرِ آخِرِ  
طَلْبِي النِّهَايَةَ فِي الَّذِي  
لَا صَابِرٌ نَظَرِي وَلَا

شَرًّا كُنَّا؛

وَعَشْ أَمْضَى مِنَ السِّيفِ الْيَمَانِي  
لِلْأَرْوَاحِ وَأَجْسَادِ عِيَارُ<sup>(١)</sup>

لَا تَرْتَضِي دَعَةَ الْمَنَازِلِ  
تَهْفُو الصَّبَا حَوْلَ الْخَمَائِلِ  
رَائِعَ حُلُوِّ الشَّمَائِلِ  
يَعْلُوهُ حُسْنًا فِي الْمَحَافِلِ  
إِلَى الشُّمُوسِ رَقِيَّ آمَلِ  
أَعْوَجُ عَلَى الْمَرَا حِلِ  
الْكَاسِ تَسْرِي فِي الْمَفَاصِلِ  
وَرَبِيعِي الْآتِي أَغَازِلِ  
لَا يَنْتَهِي فِيهِ الْمُسَائِلِ  
قَلْبِي عَنِ الْأَمَالِ غَافِلُ<sup>(٢)</sup>

نَحْنُ آثَارٌ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ  
فَمَضِينَا نَقْتَفِي سِرَّ الدَّهْورِ  
فَإِذَا شَمْسٌ عَلَى الْكَوْنِ تَسِيرُ

أُمَّةٌ كَانَتْ وَمِنْ حَكْمَتِهَا  
قَدْ عَرَفْنَا سِرَّ تَقْدِيرِ مَضَى  
شَرًّا كُنَّا، أَجَدْنَا نَظَرًا

(١) «ديوان إقبال» (١/ ٢٩٥ - ٢٩٦).

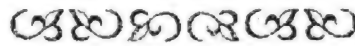
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٩٧).

أذبلت ریح الصَّبَا فينا الزُّهورُ  
دون أشراكِ كما انقضَّتْ صقورُ  
كم أَمَاتَ العِزَمَ تدبيرُ الأمور<sup>(١)</sup>

صرصر البيداءِ في فطرتنا  
رُبَّ صيدٍ قد أخذنا وثبةً  
كلما أمكنَ طرفٌ فاركضنْ  
لنا غايةً من الشمسِ أعلى:

إنها الشمسِ صُوءُ الرُّكَّتَانِ<sup>(٢)</sup>  
تطلبين المحالَ في الأكوانِ  
تطلعنني منه درّةً ذاتِ شانِ  
أنت كان العتيق كالصَّوان<sup>(٣) (٤)</sup>

ولنا غايةً من الشمسِ أعلى  
إيه يا قطوةً عن النفسِ تاهتْ  
إنَّ عارًا معيشة البحر إن لم  
يا جهولاً بقدر نفسك لولا



يا لها من أُمْنِيَّاتٍ:

ذلك البدرُ التَّامُ  
وبعينيَّ اقتحامُ  
ليس يغشاه ظلام  
ليس يخبو والهيام  
وغدي في زمام

مُنيتي أن يتجلّى  
فيدي تُمسكُ صدري  
ويقول الحسن: صبحي  
فيقولُ الحبُّ: وجدي  
ليس من يومي وأمسي

(١) المصدر السابق (١/٣٠٢).

(٢) الصُّوءة: أحجار تجعل علامة على الطريق.

(٣) يعني أن الإنسان جهل قدر نفسه وقدر أشياء ليس لها قيمة إلا بتقديره.

(٤) «ديوان إقبال» (١/٣١٠ - ٣١١).

ليس لي نَجْدٌ و غورٌ  
رِقَّةُ الأسرار أبغي  
ولتسنيم الجنان  
بل ونظرٌ للودود  
يا لإنعام الحبيب!!  
ليس يحويني مقام  
وكؤوسًا لا ترام  
طهر حور في الخيام  
إذ يقول لي سلام  
حين ينظر.. والكلام

□ والله در القائل:

نحنُ تربُّ، وكالنجوم سفارا  
قل لأهل السَّماء: إنَّ ترابًا  
نحن في الحبِّ زهرةٌ في نسيم  
في أعالي السماء نبغي قرارا  
نال بالحبِّ في السماء مطارًا  
وبكد الحياة نقدح نارًا

لا يستويان:

أَيْنَ مَنْ يَفْقُ الشَّوَاهِدَ  
أَيْنَ مَنْ يَلْقُطُ مَنْ حَبْ  
مَنْ فَتَى يَلْقُطُ عَنْقُو  
أَيْنَ مَنْ يَسْرِي بِرَوْضِ  
مَنْ بَصِيرٍ فِي ضَمِيرِ الزَّهْدِ  
أَيْنَ فَوْقَ الْأَرْضِ ظَنٌّ  
مَنْ طَمُوحٌ جَاوَزَ الْأَفْلا  
حَبَّذَا عَقْلٌ فَسِيحٌ  
نُورٌ أَمْلَاكِ وَنَا  
مَنْ جَنَاحُ الْعَنْدَلِيبِ  
عَلَى الْأَرْضِ تَرِيبِ  
دُ الثُّرَيَّا لَا يَخْئِبِ  
كُنْسِيمٍ فِي هَبُوبِ  
رَ لِّلْسَرِّ يَصِيبِ  
سَارَا أَوْ شَكٌّ مَرِيبِ  
كَ لِّلْمَسْرِى الرَّحِيبِ  
قَدْ أَحَاطَ الْعَالَمِينَ  
رَ الْأَنْسِ فِيهِ دُونَ مِينِ

نحنُ مِنْ خُلُوةِ عِشْقٍ      قد برزنا بالسَّجَايا  
فجعلنا موطئ الأقدام      م في الأرض مَرايا  
فانظرنَّ هَمَّتْنا كَيْـ      ف لعننا بالعطايا  
قد أضعنا الكونَ جَهْرًا      حينَ حزنَاهُ خفايا  
قدْ نزلنا شَطَّ نَهرٍ      نبصرُ الموجَ سَرايا  
تبصرُ الأعينُ سَطْرًا      مِنْ غُدُوٍّ وَعَشايا  
شعلةٌ كُنَّا جَمِيعًا      وانتثرنا كالشَّرَرِ  
أهلُ شوقٍ وحنينٍ      ورجاءٍ ونَظَرٍ<sup>(١)</sup>

□ والله درّه حين يقول:

رأيت الحب يأبى كُلَّ وِغْدٍ      كَمِيتِ الطير تَأبَاهِ الصَّقُورِ  
□ وحين يقول:

قطوفَ الورد! لا تجزَعْ لشوكِ      كذاك الشَّوَاكُ مِنْ نَفْسِ الرَّبِّيعِ  
يا لُبِينِي أوقدي طال المدي؛

يا لُبِينِي أوقدي، طال المدي      أوقدي علَّ على النَّارِ هدى<sup>(٢)</sup>  
أوقدي يا لُبْنُ قد حارَ الدَّلِيلُ      أوقدي النَّارَ لأبناء السَّبِيلِ  
ارفعي النَّارَ وأذكي جمرها      علَّ هذا الركبَ يعيشو شطرها

(١) «ديوان إقبال» (١/٣٢٦ - ٣٢٧).

(٢) إشارة إلى الآية في قصة موسى عليه السلام: ﴿لَعَلَّآ إِلَيْكُمْ مِنْهَا يَفْتَسِ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى



شَرَّدِي هَذَا الظَّلَامَ الْجَائِئًا      أُرْشِدِي هَذَا الْفَرَّاشَ الْهَائِئًا  
 حَبِّذَا النَّارَ بَلِيلَ تَوْقَدُ      حَبِّذَا الْمُؤَنَسُ هَذَا الْمَوْقَدُ؟  
 حَبِّذَا عِنْدَكَ هَذَا النَّزْلُ      لَوْ حَوَانَا فِي سَفَارٍ مِنْزَلُ  
 مَا لَذَا الْمَنْزِلِ قَدْ سَارَ الْفَرِيقُ      إِنَّمَا النَّيِّرَانِ أَعْلَامُ الطَّرِيقِ  
 قَدْ تَرَحَّلْنَا مِنَ الْفَجِّ الْعَمِيقِ      لَا نَبَالِي بِقَرِيبٍ أَوْ سَحِيقِ  
 رَنَّ فِي آفَاقِنَا هَذَا النَّدَاءُ      فَأَمْنَمَا الْبَيْتَ يَحْدُونَا الرَّجَاءُ<sup>(١)</sup>  
 قَدْ غَنِينَا عَنْ مَبِيتٍ وَمَقِيلٍ      وَعَنْ الْأَمْوَاهِ وَالظِّلِّ الظَّلِيلِ  
 وَعَنْ الرَّغْبَةِ وَالْخَوْفِ سُوَى      خُلِعَ النَّعْلَانِ فِي وَادِي طَوَى<sup>(٢)</sup>  
 نَحْنُ لَا نَرْضَى بِنَارِ الْغَسَقِ      نَحْنُ لَا نَرْضَى بِنُورِ الشَّفَقِ  
 نَحْنُ لَا نَرْضَى بِنَجْمِ الصُّبْحِ لَاحٍ      لَا وَلَا نَرْضَى تَبَاشِيرَ الصَّبَاحِ  
 نَحْنُ لَا نَرْضَى نَجُومًا لَامِعَةً      إِنَّمَا نَبْغِي شَمُوسًا طَالِعَةً  
 قَدْ رَحَلْنَا بِالْجَوَى وَالْحُرْقِ      وَغَنِينَا عَنْ رَسِيمِ الْأَيْنِقِ  
 أَيْنَ مَنَاطِئِرَاتٍ سَبَقَ      جَمَعَ الْغَرْبُ لَهَا وَالْمَشْرِقُ  
 نَحْنُ رَكْبٌ فِي جَوَاهِ مُوَضَّعٍ      لَمْ يَسْعُهُ فِي جَوَاهِ مُوَضَّعُ  
 كُلُّ حُرٍّ ضَاقَ عَنْهُ الْمَوْطَنُ      وَانْطَوَى دُونَ مَنَاهِ الزَّمَنُ

(١) إشارة إلى الآية: ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

(٢) النعلان هنا كناية عن الرغبة والخوف والإشارة إلى الآية في قصة موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾ [طه: ١٢].



حبذا الصَّوتُ فَمَنْ هذا البشير؟  
وَمَنْ المُسعدُ في هذي الهموم؟  
وَمَنْ الهابطُ في نورِ السَّما  
وَمَنْ الهادي إلى أرض الحبيب  
وَمَنْ السَّائقُ شَطْرَ الحَرَمِ  
وَمَنْ القارئُ في بيت الصنم  
وَمَنْ الحرُّ الذي قد حطما  
وَمَنْ الآبى على كلِّ القيود  
وَمَنْ الباعثُ في ميت الأمم  
لاح الغُرّة في هذا السَّواد  
جرف النَّاس أتيّ مزيد  
عارض الموج على أغماره  
وطغى اللُّجج عليه والتطم  
سبح اللُّجج وبالشَّطِّ استقر  
يجرفُ التَّيارُ جَسماً جامدا  
إنَّ عزم الحرِّ بحرٌ مُزبد  
هذه الأقدارُ في تيسارها  
وَمَنْ الشَّاعرُ يُذكي القافيه

وَمَنْ الهاتفُ بالقلبِ الكسير؟  
وَمَنْ البارِقُ في هذي الغيوم؟  
هاديّا في الأرض جيلاً مظلماً؟  
يعرف النهج وقد حارَّ اللَّيب؟  
وإلى الأصنام سَيرَ الأمم؟  
سورة الإخلاص في هذا النغم؟  
من قيود الأسر هذا الأدهما؟  
وَمَنْ القاطعُ أغلال العبيد؟  
ثورة العزّة من هذي الهمم؟  
بصَّ كالجمرة في هذا الرَّماد  
ضلَّ فيه المقتدي والمرشدُ  
وطوى اللُّجج على تيّاره  
فرساً كالصَّخر في هذا الخضم  
داعياً والنَّاسُ غرقى في النَّهر  
تَقْذِفُ اللُّجَّةُ قلباً خامدا  
جائشٌ في السَّدَّهر لا يَتَّيَّدُ  
هِمُّ الأحرارِ في أسفارها <sup>(١)</sup>  
فهي نورٌ وهي نارٌ حاميه؟

(١) هذه: مبتدأ، وهمم: خبر.

تَقْشَعُرُّ الْأَرْضُ مِنْ أَوْزَانِهِ      وَيَهِيْمُ النُّجُومُ مِنَ الْحَانِهِ  
هو بالأشعار بحر فائض      وهو للأزمان قلب نابض  
حدّثته الأرض عن أخبارها      وحبّته الزهر من أسرارها  
هو بالأمس خير بغد      وهو اليوم نجيّ الأبد  
كشّف الله عن الغيب له      فليسان الغيب يُملّي قوله  
عرّف الشرق وراة المغرب      فانجلي السرّ له ما كُذبا  
فرأى العلم سبيلاً للردى      إذ رأى القلب خليّاً من هدى  
صوت همّام على شطّ المزار      أسمع اليقظان في هذي الدّيار<sup>(١)</sup>

﴿ ٣٤٦ ﴾

### همم الأحرار تحيي الرّحما:

فطرة الله التي أوْدَعَهَا      كلُّ نفسٍ خابَ من ضيّعها  
إنها سرّ الحياة الخالدة      دونها كلُّ حياة هامة  
إنّها التّيارُ مثلَ الكهرباء      إن يُعطّل لمحّة كان الفناء  
إنّما العيشُ جهادٌ لا يقرّ      وركودُ الحيّ موتٌ مستمرّ  
من يضيء ذا السرّ في أعماقه      ضاقتِ الأفلاكُ عن آفاقه  
وتعالى عن حدود الأزمنة      وتجاوى عن قيود الأمكنة  
شُعِلْ في قوله تضطرم      وطما في الموت روح العمل

(١) انظر «اللمعات» لعبد الوهاب عزّام بتصرف.. «ديوان إقبال» (١/ ٣٤٦ - ٣٤٩).



|                                          |                                          |
|------------------------------------------|------------------------------------------|
| مُلَطَّعٌ فِي الْيَأْسِ صُبْحَ الْأَمَلِ | نَافِعٌ فِي الْمَوْتِ رُوحَ الْعَمَلِ    |
| أَرَأَيْتَ الْغَيْثَ فِي أَرْضٍ مَوَاتٍ  | مَنْبَتًا فَهِيَ أَفَانِينَ النَّبَاتِ   |
| هِمُّ الْأَحْرَارِ تَحْيِي الرِّمَمَا    | نَفْخَةُ الْأَبْرَارِ تَحْيِي الْأَمَمَا |
| لَا يُصَدُّ الْحَرُّ عَمَّا يَأْمَلِ     | أَوْ يَحْدُ الْبَرْزُ فِيمَا يَفْعَلِ    |
| هُوَ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ اتِّصَلَا      | جَلَّ رَبِّي عَنْ حُدُودٍ وَعَلَا        |
| مَنْ يُضِيءُ فِي قَلْبِهِ إِيمَانُهُ     | وَيَنْزُرُ فِي سَبِيلِهِ وَجْدَانُهُ     |
| فَهُوَ بِاللَّهِ عَلِيٌّ وَقَوِيٌّ       | وَهُوَ بِاللَّهِ غَنِيٌّ وَوَلِيٌّ       |
| جَاهِدِ وَاللَّهُ فِي تَبْسِيرِهِ        | تَحْسِبُ الْأَقْدَارَ فِي تَقْدِيرِهِ    |
| قَائِمٌ بِالْحَقِّ بَيْنَ الْبَشَرِ      | مَالُهُ فِي بَاطِلٍ مِنْ وَطَرِ          |
| يُمْسِكُ الدُّنْيَا وَلَا تُمْسِكُهُ     | يَمْلِكُ الْأَرْضَ وَلَا تَمْلِكُهُ      |
| وَتَرَى الدُّنْيَا انْطَوَتْ فِي كَبِهِ  | لَيْسَ مِنْهَا ذَرَّةٌ فِي قَلْبِهِ      |
| إِنَّهُ الْقَانُونَ بِسَالَةِ سَرَى      | عَادِلًا فِي حُكْمِهِ بَيْنَ الْوَرَى    |
| يَسْعُ النَّاسَ جَمِيعًا هُمُّهُ         | فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَاضٍ عَزْمُهُ       |
| جَاهِدٌ فِي الْخَيْرِ لَا يَتَّعِدُ      | عَزْمُهُ فِي صَدْرِهِ يَتَّقِدُ          |
| وَفَقِيرٌ وَغَنَاهُ لَا يُحَدُّ          | فَقْرُهُ اسْتَغْنَاؤُهُ عَنْ كُلِّ يَدِ  |
| هُوَ بِاللَّهِ وَفِي اللَّهِ غَنِيٌّ     | ضَاقَ عَنْ هَذَا الْغَنَى كُلُّ ثَرِي    |

## صغار الهمم:

|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| جذوةُ الإقدام فيها خامده     | إنَّ في الناس قلوبًا جامده |
| كلُّ ما تهوى طعامٌ وودُّ     | همُّها ما يبتغيه الجسدُ    |
| فحكَّتْ في ضيقها أخلاقها     | حدَّدَتْ آرائها آفاقها     |
| عُمِرَ الكونُ به أم خربا     | لا تبالي حين تبغي أربا     |
| سُخِّرَتْ في نفعها آراؤها    | إنَّما قانونها أهواؤها     |
| كلَّ حينٍ في هوىٍ يجذبها     | وترى أهواءها تغلبها        |
| لا تُرى نحو المعالي مُصْعِده | وإلى الأرض تراها مُخْلِده  |
| إنَّما مَبْرَكها هذا العَطَن | إنَّما آفاقها هذا البدن    |
| خامداتِ العزمِ موتى الهمم    | إنَّما أحياءها كالرَّمم    |

## صَنَاعُ الْحَيَاةِ الْمُسْلِمُونَ نَعْمَ الْعَابِدُونَ:

□ قال إقبال رَحِمَهُ اللهُ:

|                                          |                                           |
|------------------------------------------|-------------------------------------------|
| كلُّ مَنْ أَحْسَنَ، فيه يَعْبُدُ         | إنَّما العالمُ طُورًا مَعْبُدُ            |
| يَنْبُتُ الْخَيْرَ كغَيْثٍ صَيِّبٍ       | كلُّ مَنْ أَدْلَى بِقَوْلٍ طَيِّبٍ        |
| كلُّ مَنْ أَحْيَا مَوَاتًا هَمَلًا       | كلُّ مَنْ أَحْسَنَ يَوْمًا عَمَلًا        |
| لِيقِيَتِ النَّاسَ وَالْعُجْمَ مَعًا     | كلُّ مَنْ فِي أَرْضِهِ قَدْ زَرَعَا       |
| فيه لِلإِنْسَانِ ظِلٌّ وَثَمَرُ          | كلُّ مَنْ يَغْرِسُ مَخْضَرَّ الشَّجَرِ    |
| تَنْفَعُ الظَّمآنَ مِنْ حَرِّ الْغَلِيلِ | كلُّ مَنْ يَنْبِطُ بَشْرًا فِي السَّبِيلِ |

كُلُّ مَنْ يَبْنِي بِنَاءً حَسَنًا  
كُلُّ مَنْ أَحْدَثَ عِلْمًا لِلْبَشَرِ  
كُلُّ مَنْ أَحْدَثَ فِكْرًا مُحْكَمًا  
كُلُّ مَنْ جَدَّ وَإِنْ لَمْ يَجِدْ  
كُلُّ مَنْ أَثَرَفَ فِيهَا أَثَرًا  
كُلُّ مَنْ فِي دَهْرِهِ قَدْ أَجْمَلَا  
كُلُّهُمْ لِلَّهِ نِعَمٌ الْعَابِدُ  
فَاصْطَنَعَ لِلْخَيْرِ فِكْرًا وَيَدَا

### لا رهبانية في الإسلام:

لَيْسَ مَنَا مِنْ ثَوَى فِي صَوْمَعِهِ  
ضَاقَ نَفْسًا عَنْ مَجَالٍ وَسَعَا  
لَيْسَ شَيْئًا أَنْ تُرَى مَعْتَزِلَا  
إِنَّمَا الْعَابِدُ مَنْ خَاضَ الْحَيَاةَ  
أَخَذًا بِالذِّلِّ مَا عَنْهُ حَوْلُ  
إِنَّهُ بِالْحَقِّ مَوْصُولٌ وَمَنْ  
ثَوْرَةٌ مَضْمُورَةٌ فِي حَلْمِهِ  
أَرَأَيْتَ الصَّقْرَ فِي مَتْنِ الرِّيَّاحِ  
طَائِرًا فِي الْجَوِ يَسْمُو عَازِمًا

يَحْبِسُ الْأَعْمَالِ وَالْفِكْرَ مَعَهُ  
فَثَوَى فِي ضَيْقِهِ قَدْ خَنَعَا  
عَابِدًا تَخَشَّى الْبَرَايَا وَجَلَا  
مَوْضِعًا فِيهِ سَبِيلًا لِلنَّجَاةِ  
ذَاكِرًا مَوْلَاهُ فِي كُلِّ عَمَلٍ  
يَتَّصِلُ بِالْحَقِّ لَا يَخْشَى الْفِتْنَ  
إِنْ يَفْكَرُ ظَالِمٌ فِي ظُلْمِهِ  
يَطْلُبُ الرِّزْقَ بِعِزِّهِ وَجَنَاحِ  
لَا يُرَى حَوْلَ الدُّنْيَا حَائِمًا

لو يراه الجوع يوماً ما أسفّ  
لم يطق صبراً عليه فهلك  
فأسار الحدّ فيه مهلك  
عزّمات الحرّ فيه تُخبر  
ليس إلا الحرّ فيه ظافر  
وامض فيمن صحّ عزماً واتكل<sup>(١)</sup>

يأكلُ الجوع ولا يرضى الجيف  
فإذا الجدُّ رماه في الشُّرك  
ليس يحوي الحد يوماً سبك  
يا فتى هذا الجهاد الأكبر  
قلّ في النَّاس عليه صابرٌ  
يا أسير الوهم أقدم لا تُبلّ

علوُّ الهمّة في التوكل :

□ قال إقبال رَحِمَهُ اللهُ :

إنما التكلانُ سعيٌّ متّصل  
واثقٌ بالله فيما يأملُ  
لا يبالي بعقابٍ أو محنٍ<sup>(٢)</sup>  
تطلب الرزق بعزم وجناح  
مقدماتٍ لا تبالي بالخطر  
تملأ الجوُّ وثوقاً ورجاً  
طائرًا يطلب رزقاً قدّراً  
خافقاً لا يتشنى دون النّجاح  
أو تبالي بطريقٍ مهلكه

مَنْ يَنْمَ عن سعيه لا يتكل  
مُقَدِّمٌ في أمره المتّكلُ  
عازمٌ ماضٍ على خير سنن  
أرأيت الطّير في نور الصّباح  
أنّها تخرجُ في كفّ القدر  
طالباتِ الرزق في كلّ رجاء  
يا لها من أملٍ قد صوّرا  
أرأيت العزّم في شكل جناح  
لا يصد الطير خوفُ التّهلكه

(١) المصدر السابق (١/ ٣٥١ - ٣٥٢).

(٢) العقاب: جمع عقبة.



ضرب المختار هذا مثلاً  
أرأيت الطير في أوكارها  
ثاوياتٍ تبتغي أرزاقها  
من ونى في سعيه لم يتكَلَّ  
إنما التُّكلان عزمٌ وعمل  
إنَّه الإعداد والعزم معاً  
إنَّه التقديرُ في سعي البشر  
همُّ الأحرار في إيمانها  
سنةُ الله التي لا تبدِّلُ

لِلَّذِي يَسْعَى عَظِيماً أَملاً<sup>(١)</sup>  
راجياتٍ رزقها في دارها؟  
ليس تَدْرِي مَنْ إِلَيْهَا ساقها  
إنَّه للوهم والعجزِ وكل  
إنَّه الإقدامُ في ضوء الأمل  
إنَّه الحرُّ إلى القصد سعى  
هو عندَ الله مَنْ بعضُ القدر  
سُنَنُ الخَلْقِ في أكوانها  
ماها كَرُّ اللَّيَالِي حَوْلُ<sup>(٢)</sup>

□ وقال رَحِمَهُ اللهُ:

آه مَنْ لِي بِقُلُوبٍ وَاعِيَةٍ  
آه مَنْ يَفْقَهُ هَذَا الْكَلِمَا؟  
أيُّهَا الْمُسْلِمُ مَاذَا قَدْ عَدَا؟  
آه لِلنُّورِ الَّذِي قَدْ طَفَأَا  
آه لِلنَّارِ الَّذِي تَشْتَعَلُ  
خَمَدَتْ فَالْقَلْبَ بَرْدٌ وَهَمُودُ

مُقَدِّمَاتٍ فِي الْمَعَالِي سَاعِيَةٍ  
آه مَنْ يَدْرِكُ هَذَا النَّعْمَا؟  
كنتَ في الأرض جهاداً وَهْدَى  
آه لِلْقَلْبِ الَّذِي قَدْ صَدِئَا  
فيضيء الأرض منها شُعْلُ  
خَمَدَتْ فَالنَّفْسَ عَجْزٌ وَرُكُودُ

(١) كما جاء في الحديث: لو توكلتم على الله حق التوكل؛ لرزقكم كما يرزق الطير؛

تغدو خماصاً، وتروح بطاناً.

(٢) «ديوان إقبال» (١/ ٣٥٢ - ٣٥٣).

ليت شعري هل لديه من شر  
 علَّه في القلب يذكي ضَرَمًا  
 علَّ جمرًا محرقًا تحت الرماد  
 علَّني أحمقُ هذا العبثا  
 علَّني أبعثُ ميتَ الهمم  
 علَّها تُنبِتُ ألوان النِّبات<sup>(١)</sup>

إنَّ هذا القول زِنْدٌ وحجر  
 إنني أضرمُ هذا الألما  
 إنني أنفخُ في هذا السَّواد  
 علَّني أذهبُ هذا الخبثا  
 إنني أبعثُ فيهم نغمي  
 إنني أمطرُ في أرض موات

### الأمل وعلو الهممة :

لَيْسَ مِنْ أَمْتِنَا مَنْ يئسوا  
 واقدح العزم إذا الهولُ دجا  
 وابعثن من كلِّ يأسٍ أملا  
 واخلقن في كلِّ حينٍ ما تشاء  
 يصدعُ الظلماءُ في نور الأمل  
 وهو في الكفِّ جهادٌ ومضاء  
 إنَّه السَّجْمُ الذي لا يأفلُ  
 يصدعُ الظُّلْمَةَ هذا الكوكبُ  
 ويُرِيه في الدِّياجي قَصْدَه

لا ترانا في جهادٍ نيأسُ  
 أشعل الإيمان في كلِّ دُجى  
 وارفعن في كلِّ ليلٍ سُعلا  
 وصلِ القلبَ بخلاق الرجاء  
 إنما الإنسانُ فكرٌ وعَمَل  
 أمل الإنسان في القلب ضياء  
 إنَّه النَّار التي تَشْتَعَلُ  
 إن دَجَا باليأس ليلٌ غَيَّهَب  
 هو وَحْيُ اللهِ يهدي عبده

هو نورُ الله في أفق النجاة      هو هدي الله في هذي الحياه  
 إِنَّهُ الْقُطْبُ إِلَيْهِ يَنْزَعُ      كُلُّ قَلْبٍ وَإِلَيْهِ يَفْزَعُ  
 إِبْرَةٌ تَهْدِي إِلَى قَصْدِ السَّبِيلِ      تَقْصِدُ الْقُطْبَ وَعَنْهُ لَا تَمِيلُ  
 بِأَدْلِيٍّ هَادِيٍّ فِي كُلِّ وَادٍ      أَنْتَ سِرُّ اللَّهِ فِي كُلِّ فَوَادٍ  
 يَقْدَحُ الْقَلْبُ إِذَا مَا خَفَقَا      شَرًّا مِنْهُ مَنْبِرًا مُحْرِقَا  
 فَهُوَ نُورٌ وَهُوَ نَارٌ يَلْدَعُ      يَوْضَحُ النَّهْجَ وَفِيهِ يَدْفَعُ  
 فَأَوْمِلْ خَيْرٍ وَصَابِرْ لَا تَمَلْ      إِنَّمَا الدُّنْيَا رَجَاءٌ وَعَمَلٌ  
 وَقِضَاءُ اللَّهِ عَوْنُ الْأَمَلِينَ      وَهُوَ فِي عَوْنِ الْأَبَاءِ الْعَامِلِينَ  
 لَا يَرُدُّ اللَّهُ قَلْبًا آمَلَا      لَا يَرُدُّ اللَّهُ عَبْدًا عَامِلَا  
 رَبِّ عَبْدٍ مُخْلِصٍ قَدْ أَقْسَمَا      فَأَبْرَ اللَّهُ مِنْهُ الْقَسَمَا<sup>(١)</sup>  
 وَجَهَادُ الْعَبْدِ أَوْلَى أَنْ يُبْرَ      إِنَّهُ الْفَعْلُ عَلَى الْقَوْلِ أَبْرُ  
 إِنَّ عَزَمَ الْحَرْفُ فِيهِ قَسَمُ      مُضْمَرٌ يَعْلَمُهُ مَنْ يَعْلَمُ  
 قَدْ تَوَلَّى اللَّهُ هَذَا الْمُقْسِمُ      فَدَعَاهُ فِي يَقِينٍ يَقْسِمُ<sup>(٢)</sup>

﴿ ٣٥٤ ﴾

(١) إشارة إلى ما جاء في الأثر: «ربُّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره».

(٢) «ديوان إقبال» (١/ ٣٥٤).

المعراج<sup>(١)</sup>:

□ يقول إقبال:

وذرة طار فيها الشوق صاعدة      تُغيرُ في عَرَصات الشمس والقمر  
يا رفيقة المرج! تلقى الصقر مقدمة      دراجة تملأ الأنفاس من شرر  
المسلم السهم، والأفلاك غايته      سرائر الروح في المعراج فاذكر<sup>(٢)</sup>  
جهلت<sup>(٣)</sup> والنجم أسراراً فلا عجب      ما زال مدك محتاجاً إلى القمر<sup>(٣)</sup>

□ وقال رَحِمَهُ اللهُ:

إذا طغى اليمُّ فهياً أقدمن      ما حاجتي ملاحه والسفن  
لقد محاسرك تكبيري فهل      تقوى على جحوده يا وهن؟<sup>(٤)</sup>



## المؤمن عالي الهمة:

□ قال عنه إقبال:

إنَّ للمؤمن العجيب الشان      كلَّ حينٍ جديدَ شانٍ وآنٍ

(١) الذرة التي يملؤها الشوق تعلو على الشمس والقمر، والدراجة إذا ملأ صدرها الحماس قاتلت الصقر، فإنما القوة الحق قوة الروح، لا شيء يستعصي عليها.

(٢) يريد أن في المعراج سرُّ الروح. وهو رمز إلى أن المسلم سهم هدفه الفلك.

(٣) جهلت أسرار الآيات في أول سورة النجم، التي يذكر فيها الوحي، وتقريب الرسول إلى ربه. وليس جهلك عجيباً، فإن نفسك لم تكمل، ولا تزال خاضعة لما يؤثر فيها محتاجة إليه، كما يحتاج البحر إلى القمر في مدّه «ديوان إقبال» (٢٤/٢).

(٤) «ديوان إقبال» (٤١/٢).



هو في قوله السَّديد وفي الفعل  
فيه قدسيَّةٌ إلى جبروتِ  
إنْ تُؤلَّفَ هذي العناصرُ كان  
هو تُربُّ سَمَا يَجاوِرُ جبريلَ  
لست تدري بسرَّه فتراه  
فيه عزمٌ على القضاءِ دليلٌ  
هو بَرْدُ النَّدى بقلبٍ شقيقٍ  
ليله والنهار لحنٌ حياةٍ  
□ وقال رَحِمَهُ اللهُ:

يبلغُ المنزلَ سارٍ لا ينامُ  
إنَّما للعبدِ تُمنَى راحةٌ  
□ ويقول عن الرجل العظيم:

هو في الحبِّ عميقٌ  
وهو في البُغْضِ عميقٌ  
وهو في المَجْمَعِ خالٍ  
ومِنَ الحَشْرِ طليقٌ

(١) يقول إقبال في مواضع كثيرة: إنَّ عزمَ المؤمن من القدر أو هو مشير على القضاء والقدر، وإنَّ رأيَه وعملَه ميزان الصلاح والفساد في الحياة. وهنا يقول: إنَّ ميزان الأعمال في الدارين الدنيا والآخرة.

(٢) هو تارةً كالنَّدى يبرد قلب الشقائق، وتارةً كال موج الهائج في البحر.

(٣) «ديوان إقبال» (٢/٥٣).

مثلُ شمعِ الحفل؛ في الحفل وحيد ورفيق<sup>(١)</sup>

مثلُ شمسِ الصُّبح؛ فِكْرُ فيه نُورٌ وبريقُ

لفظه حرٌّ يسيرُ لكنِ المعنى دقيقُ

نظرٌ فيه سديدٌ عن بني العصر سحيقُ<sup>(٢)</sup>

□ ويقول:

لن يكونَ الشَّاهينُ عبدَ بُغَاثٍ الحفظُ الأبدانِ رُوحِي أُبِيرُ؟<sup>(٣)</sup>

□ وعن علوِّ همّةِ الزاهد في الدنيا يقول:

تُذِلُّ الحوائجُ صيدَ الرِّجالِ ترى الليثَ كالثَّعلبِ المحتقرِ

إِنَّ الذَّاتُ أَيَّدَهَا فَقَرُّهَا فعندي وعندك مُلْكُ البَشَرِ

قِوَامُ الشُّعوبِ بحُرِّ فقيرِ إلى سُدَّةِ المُلْكِ ما إِنَّ نَظَرَ<sup>(٤)</sup>

□ ويقول لصريع الفرنجة دنيَّ الهمّة:

مِنْ تَجَلَّى الفرنج نلتَ وجودًا فهمُ منك هيكلاً قد أقاموا

ومن (الذات) هيكَلُ التُّرْبِ خالٍ أنتَ غِمدٌ مُذَهَّبٌ لا حِسامُ

~~~~~

ووجودُ الإله عندك ريبٌ وأرى الريبَ في وجودك أنتا

(١) يكون في جمعٍ من الناسٍ كأنه وحده، له فكره ونظره. مثل الشمعة في الحفل رفيقة الحاضرين، ووحيدة بحرقتها ونورها.

(٢) «ديوان إقبال» (١٠٣/٢).

(٣) «ديوان إقبال» (١٢٥/٢).

(٤) المصدر السابق (١٢٦/٢).

إنَّها الكونُ جوهرُ (الذات) يُجَلَّى فانظرنُ أيَّ جوهرٍ قد دفتنا^(١)
 (٣٨٨) (٣٨٨) (٣٨٨)

□ ويقول عنه أيضًا:

هَوَتْ في الفخِّ رجلاه ^(٢)	بلا دينٍ ولا تينٍ
«لا غَلَابَ إلا هُوَ»	دواءُ العاجزِ المغلوبِ
رَجَتْ في الغربِ عيناه	وصيَّادُ المعاني ما
غزالُ المسكِ خَلَّاه ^(٣)	فضاءٌ موزَّقٌ لكنْ
بَدَمَعَ العَيْنِ أَوَاهُ ^(٤)	يقوِّمُ ذاتَه سحرًا
على الأمواهٍ تلقاهُ	فهذا الزَّهرُ أحسنُه
ح والألوانِ معناه ^(٥)	وديرُ الكونِ، زُونُ الرِّبِ
وذو الإيمانِ مولاه ^(٦)	على الكُفارِ مُستولٍ

□ أمَّا عالي الهمة عنده فهو:

كالعقابِ صَيِّدُهُ للنَّيرِّينِ في السماء طوفه بالخافقين^(٧)

(١) «ديوان إقبال» (٢/٣٦).

(٢) يشير إلى مصطفى كمال وأتباعه سياسة لا دينية، واتخاذ الحروف اللاتينية للغة التركية.

(٣) لا يجد صياد المعاني في أوربة غزالاً مسكياً يصيده وإنما هي فضاء لا صيد فيه. أي: لا يجد المعاني الجميلة التي يحبها.

(٤) الأواه: المتعبّد، الرقيق، كثير الدعاء.

(٥) هذا العالم الذي هو معرض لأصنام من الألوان والروائح، يستعبد الكفر، ولكنه مسخر للمؤمن.

(٦) «ديوان إقبال» (٢/١٢٩).

(٧) المصدر السابق (٢/١٦٢). والنيران: الشمس والقمر. والخافقان: المشرق والمغرب.

□ وعن عالي الهمّة يقول:

قد عَلَا منزلة الشمس مقامًا ضاربًا في مسبح النجم خيامًا

□ ويقولُ عن عالي الهمّة مشرق الإيمانِ قدسيّ الضمير:

لا تحاولْ دركَ المعالي بكأووسٍ وخسرو في غابر الأزمانِ

طُفْ إذا شئتَ حَوْلَ ذاتِ: حرًّا لا تَطُفْ بالسَّريِّ والإيوانِ

قَدْ تَبَاعَدْتَ عَنْ مَقَامِكَ حَتَّى صِرْتَ فِي ذِلَّةِ الْأَسِيرِ الْعَانِي

لَا تَسِرْ وَاهِنَ الْخُطَى كِبَغَاثِ الطَّيْرِ بَيْنَ الطُّلُولِ وَالْجُذُرَانِ

كُنْ نَظِيرَ الشَّاهِينَ فِي الْقِمَمِ الشَّمَاءِ لَا فِي مَسَارِبِ الْوُدَيَانِ

تَتَحَرَّى الطُّيُورُ عِنْدَ بِنَاءِ الْعُشِّ أَعْلَى الْفُرُوعِ فِي الْبُسْتَانِ

لَسْتَ دُونَ النُّسُورِ بِأَسَا فُحَاوِلِ دَارَةِ النَّجْمِ أَوْ ذُرَى كِيَّوَانِ

مِنْ مِهَادِ الثَّرَى إِلَى التَّسْعَةِ الْأَفْلَاكِ فَوْقَ الزَّمَانِ فَوْقَ الْمَكَانِ

غَيْرِ الْعَالَمِ الْقَدِيمِ وَعَمَّرِ فِيهِ دُنْيَا جَدِيدَةَ الْبُنْيَانِ

وَالَّذِي يَنْشُدُ الْجِهَادَ فَنَاءً فِي رِضَا الْحَقِّ وَهُوَ مَاضِي الْجَنَانِ

هُوَ سِرُّ الْأَقْدَارِ وَهُوَ قَضَاءُ الْحَقِّ فِي الْمُمْكِنَاتِ وَالْإِمْكَانِ

فَتَمَثَّلْ نَضَالِ أَسْلَافِكَ الْأَمْجَادِ نَحْوَ الْعُلَى بِغَيْرِ تَوَانِي

وَتَدَبَّرْ كَيْفَ اسْتَهَانُوا بِبَذْلِ الرُّوحِ وَالْمَالِ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

أَظْهَرَ الْجَوْهَرَ الْكَرِيمَ مِنَ الْأَصْدَافِ وَاجْعَلْهُ بَادِيًا لِلْعِيَانِ

وَتَحَرَّرْ مِنْ هَيْكَلِ الْمَاءِ وَالطُّينِ وَمِنْ ظُلْمَةِ الْهَوَى وَالْهَوَانِ

وَاجْعَلِ الْفَطْرَةَ النَّقِيَّةَ نِبْرَاسًا لِعَيْنِكَ بَيْنَ قَاصِ وَدَانِ

كُلُّ مَنْ ضَاعَ حَظُّهُ مِنْ جَلَالِ الْحَقِّ بَيْنَ الْجُحُودِ وَالنَّسْيَانِ
لَمْ يَنْلُ طُؤْلَ عُمْرِهِ مِنْ جَمَالِ الْحَقِّ غَيْرَ الْإِبْعَادِ وَالْحِرْمَانِ
مَبْدَأُ الْعِشْقِ وَالصَّبَابَةِ قَهْرٌ وَخَطُوبٌ مَوْصُولَةُ الْأَشْجَانِ ^(١)
وَهُوَ مَنْ بَعْدَهَا دَلَالٌ وَتِيَةٌ بَيْنَ طَيْبِ الْمُنَى وَصَفْوِ الْأَمَانِ
وَيَعُودُ الْمَحَبُّ بِالْقُرْبِ مَحْبُوبًا وَيَنْسَى لَوَاعِجِ الْهَجْرَانِ
الْوَجُودُ الْأَسْمَى هُوَ الْمُؤْمِنُ الْحَرُّ الْأَبِيُّ الْوَفِيُّ فِي كُلِّ آنٍ
وَبَقَايَا الْوَجُودِ فِيهَا سِوَاهُ مَظْهَرٌ حَائِلٌ وَظِلٌّ فَانٍ
حِينَ يَدْعُو أَنْ لَا إِلَهَ سِوَى اللَّهِ الْقَدِيرِ الْمُهَيْمِنِ الدِّيَّانِ
يُذَعْنُ الْكَوْنُ وَالْمَكَانُ وَلَا يُشْرِقُ إِلَّا بِفَوْزِهِ الْقَمَرَانِ ^(٢)

□ ويقول عن العرب المسلمين عُلَاةُ الْهِمَمِ:

يَا لَهَا مَنْ ذَكَرَى لِأَمْجَادِ الْعَرَبِ آيَةُ كُؤْبَرَى وَتَارِيخُ عَجَبِ
حَرَّرُوا أَقْدَارَهُمْ بِالْعَزَمَاتِ فِي جَمِيعِ الْكَوْنِ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ
فَارَزَدَهُ مِنْ نُورِهِمْ كُلُّ مَكَانٍ وَتَغْنَى بِأَسْمِهِمْ كُلُّ زَمَانٍ
لَمْ تَدُمْ عُزَى ^(٣) وَلَمْ تَبَقْ مَنَاةُ ^(٤) هَوَتْ الْأَصْنَامُ تَحْتَ الضَّرَبَاتِ

(١) الأشجان: الهموم والأحزان.

(٢) «ديوان إقبال» (٢/ ٣٥٠ - ٣٥١).

(٣) عُزَى: صنم كان لبني كنانة وقريش، أو شجرة من السمر كانت لغطفان بنوا عليها بيتًا وجعلوا يعبدونها، فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه فهدم البيت وأحرق السمرة..

(٤) أحد أصنام العرب في الجاهلية.

زَالُ كِسْرَى وَأَنْطَوْتُ أَعْلَامُ قَيْصَرٍ
 أَيُّ طُوفَانٍ جَرَى يَغْزُو الْبَحَارَ
 وَحَدُّوا الْخَلْقَ بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ
 مَنْ تَحَدَّى نَارَهَا أَضْحَى هَبَاءً
 وَأَزَالُوا كُلَّ جَبَارٍ عِنْدَ
 كُلِّ هَذَا كَانَ مِنْ أَنْوَارِ (لا) (١)
 فِي سَهَوِ الْأَرْضِ أَوْ دَيْرٍ قَدِيمٍ
 وَأَقَامُوهَا عَلَى النَّهْجِ الرَّشِيدِ
 فَجَرَى الْحَقُّ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ
 كُلُّ نَوْرٍ يُجْتَلَى مِنْ شَمْسِهِمْ
 فَهُوَ مِنْ شَاطِئِ نَهْرِ الْعَرَبِ
 نَقَشَ غَيْرَ (الله)، عَلَامَ الْغُيُوبِ
 ثَوْرَةَ الْإِيمَانِ فِي كُلِّ الشُّعُوبِ
 حَطَّمُوا الْقَيْدَ بِعِزْمٍ مِنْ حَدِيدٍ
 وَاسْتَرَدُّوا أَمْنًا حَرِّيَّاتِهِمْ

حِينَ نَادَى الْمُؤْمِنُونَ (اللهُ أَكْبَرُ)
 أَيُّ سَيْلٍ هَادِرٍ عَمَّ الصَّحَارَى
 هَؤُلَاءِ الْعَرَبُ الصَّيْدُ الْأَبَاهِ
 شَعْلَةٌ مِنْ نُورِهَا الْحَقُّ أَضَاءَ
 قَدْ أَبَادُوا كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ
 وَسَمَوْا فَوْقَ الدَّرَارِيِّ مَنْزِلًا
 بَيْنَمَا الْعَالَمُ كَالْعَظْمِ الرَّمِيمِ
 أَنْشَأُوا دُنْيَاهُ فِي خَلْقٍ جَدِيدٍ
 أَقْبَضُوا الدُّنْيَا بِتَكْبِيرِ الْأَذَانِ
 كُلُّ خَيْرٍ يُرْتَجَى مِنْ غَرْسِهِمْ
 كُلُّ رَوْضٍ بِالْمَعَالِي مُحْصَبٌ
 قَدْ أَزَالَ الْعُرْبُ مِنْ لَوْحِ الْقُلُوبِ
 فَأَقَامُوا فِي شَمَالٍ وَجَنُوبِ
 فَتَرَى فِي أُمَمِ الْغَرْبِ الْعَبِيدِ
 أَعْلَنُوا الْحَرْبَ عَلَى سَادَاتِهِمْ

~~~~~

يَحْشُدُ الْأَلْفَاظَ حَشْدَ الْمَكْتَبَاتِ  
 أَسْمِعِ النَّمْرُودَ تَوْحِيدَ الْجَلِيلِ

يَا مَقِيمًا فِي زَوَايَا الْحُجُرَاتِ  
 إِنْ تَكُنْ فِي مِثْلِ نِيرَانِ الْخَلِيلِ



فَعَسَى أَلَا تَرَى مِثْلِي فَقِيرًا  
وهو في ركن من البيت مُقِيمٌ  
قُمْ وَأَسْمِعْه البرايا أجمعين  
أَسْمَعَ النَّمْرُودَ تَوْحِيدَ الْجَلِيلِ  
فَهُوَ مِنْ جَبْرِيلَ فِي الدُّنْيَا قَرِيبٌ  
عُدَّ إِلَى الْحَقِّ مَجْدُ نُورِ الصِّفَا (١)

فَاغْتَنِمْ مِنْ فَاقَتِي حِظًّا يَسِيرًا  
أَيُّهَا الشَّادِي بِقِرَآنِ كَرِيمٍ  
قُمْ وَأَبْلِغْ نُورَهُ لِلْعَالَمِينَ  
إِنْ تَكُنْ فِي مِثْلِ نِيرَانِ الْخَلِيلِ  
مَنْ لَهُ مِنْ ثَرَوَةِ الْهَادِي نَصِيبٌ  
يَا غَرِيبًا عَنْ مَقَامِ الْمُصْطَفَى

﴿٣٤٥﴾

□ وعن الرجل الحرّ من كل قيود الأرض، عالي الهمّة يقول:  
فَوْقَ مَسْرِ النَّجْمِ لِلْحَرِّ هَدَفٌ  
أَمِنٌ فِي سَلْمِهِ فِي حَرْبِهِ  
عَرَفَ اللَّهَ فَلَمْ يَرْهَبْ سِوَاهُ  
لَا يَرَى قِطْمَ الْبُؤْسِ الْمَرِيرِ  
جَمَلٌ فِي الْيَدِ مَوْصُولَ الصِّيَامِ  
هُوَ نَبْضٌ فِي عُرُوقِ الْأَمَلِ  
مَنْ عَلَا تَكْبِيرُهُ مِنْ غَيْرِ تَاجٍ  
قَدْ ذَكَتْ نِيرَانُنَا مِنْ جَمْرِهِ  
جَنَّةُ الْوَرْدِ شَذَا مِنْ سِخْرِهِ  
وَرْدُهُ فِي كُلِّ حِينٍ لَا تَخَفُ  
رَأْسُهُ فِي الْكَفِّ لَا فِي جَبِيهِ  
كَيْفَ يَخْشَى الْخَلْقَ مَنْ خَافَ إِلَاهَهُ  
عَبْدَ سُلْطَانٍ وَلَا ظِلَّ أَمِيرٍ  
يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ وَالشُّوكَ طَعَامًا  
وَهُوَ سَعْيٌ فِي طَرِيقِ الْعَمَلِ  
يُلْزَمُ التَّيْجَانَ تَقْدِيمَ الْخَرَجِ  
وَجَرَتْ أَنْهَارُنَا مِنْ خَمْرِهِ  
شَعْلَةُ الْمَجْدِ سَنَا مِنْ فِكْرِهِ



وترى في قصره ربَّ السَّريِرِ  
 شأُننا في الدِّينِ لا يعدو الخَبَرَ  
 نحنَ عند الباب نستجدي الأمانِ  
 أَصْبَحَ الدَّيْرُ لَدِينَا مَقْصِدا  
 وهو يُسْقَى مِنْ يَمِينِ الْمُصْطَفَى  
 في ضميرِ الحرِّ تكبيرُ الإلهِ  
 نحنُ للإفرنجِ أَسلمنا القيادَا  
 وابتغينا عندهم عِزَّتَنَا  
 وشعارُ الحرِّ عِزْمٌ وإِباءُ  
 فلغيرِ الله ما مَدَّ اليَمِينِ  
 متعةُ الدُّنيا لنا كُلُّ المَرامِ  
 هو في الحقِّ جهادٌ وثبات  
 إِنَّا نبني قِصُورًا في الخيالِ  
 وهو بالأعمالِ في كُلِّ مجالِ  
 لو رمى شُمَّ الجبالِ العاتيةِ  
 اجتنَبْ صُحْبَتَنَا واسْعِدْ بهِ  
 الزَّمِ الحرَّ ودعْ أَهلَ البَوَارِ

راعشًا مِنْ سَهْمِ عُزَيانٍ فَقِيرِ  
 وهو في الدِّينِ شُهودٌ ونَظَرُ  
 وهو في الدَّارِ وفي طِيبِ المَجَانِ  
 نحنُ لِلغَيْرِ نبيعُ المَسْجِدا  
 كوثرًا عَذْبًا بهِ الوردُ صَفا  
 في جبينِ الحرِّ تقديرُ الأُممِ  
 واتخذناهم لَدَى الجُلَى عَتَادَا  
 وجعلنا ودَّهم قِبَلَتَنَا  
 رزقه مِنْ يَدِ جَبَّارِ السَّماءِ  
 لغيرِ الله لم يَحْنِ الجَبِينِ  
 ثُمَّ يَأْسُ ثُمَّ قَبْرٌ وظلامِ  
 موتهِ إِحدى مقاماتِ الحَيَاةِ  
 ونرى المُمكنَ في حُكْمِ المُحالِ  
 لا يُضِيعُ العَمَرَ في زَيْفِ الخَيَالِ  
 حوْلَ الصَّخَرِ بحارًا جارِيهِ  
 إِن تُرِدْ خَيْرًا فَكُنْ مِنْ صَاحِبِهِ  
 اهْدِمِ الدَّارَ وَكُنْ صَاحِبَ دارِ

هي خيرٌ لك من ألفِ كتاب  
وَلَقَدْ تَخَلَّقَ مِنْهُ آدَمُ  
لكَ في البَحْرِ غِنًى عَنْ جَدُولِ  
آيَةُ التَّغْيِيرِ فِي عُمْرَانِهِ  
مِثْلَمَا يَنْشُرُ رَوْضَ عِطْرِهِ  
ثَوْرَةُ الْبُرْكَانِ فِي نِيرَانِهَا  
أَوْ يَسْتَمُّ اللَّهُ فِيهَا نَضْرَهُ  
هِنَا إِلَّا لِأَصْحَابِ الْيَقِينِ  
فَالْتَزِمْ فِي الدَّهْرِ حُرًّا هَادِيًا<sup>(١)</sup>

صَحْبَةُ الْحَرِّ إِلَى الْعِلْيَاءِ بَابِ  
صَحْبَةُ الْحَرِّ تَنْبِيرُ الْعَالَمِ  
قُرْبُهُ لِلْعِزِّ أَصْفَى مِنْهُلِ  
هُوَ يَوْمَ السَّلَامِ فِي أَوْطَانِهِ  
بِجَدِيدِ الْفِكْرِ يَحْيِي عَصْرَهُ  
وَهُوَ يَوْمَ الْحَرْبِ فِي مَيْدَانِهَا  
سَيْفُهُ يَحْفِرُ فِيهَا قَبْرَهُ  
لَيْسَ زَرْعُ الْقَلْبِ فِي مَاءٍ وَطِينِ  
إِنْ أَرَدْتَ الْعَيْشَ حُرًّا صَافِيَا

□ وقد أعاد صياغتها الشيخ الشاعر الصاوي شعلان في رباعياتٍ فقال:

ومضى يرمي على النّجم الهدف  
من سماءِ الله أقدم لا تخف

أقبل الحرُّ على يومِ الفداء  
وكانَّ الوُحْيَ لِقَاءَ النَّدَاءِ

﴿﴾﴿﴾﴿﴾﴿﴾﴿﴾﴿﴾

وسرى التحريرُ منه في الضمير  
يَرْهَبُ السُّلْطَانُ أَوْ يَخْشَى الْأَمِيرَ

أشرقَ التوحيدُ نورًا في هداه  
أُتْرَى مَنْ لَمْ يَخَفْ غَيْرَ الْإِلَهِ

﴿﴾﴿﴾﴿﴾﴿﴾﴿﴾﴿﴾

رُوحُهُ تَكْشِفُ أَسْرَارَ الْخُلُودِ      عَنْ حَيَاةٍ مَا لَهَا فِي الدَّهْرِ مَوْتُ  
يُرْسِلُ التَّكْبِيرَ مِنْ قَلْبِ الْوُجُودِ      لُغَةً تُغْنِيهِ عَنْ حَرْفٍ وَصَوْتُ  
(٣٤٨) (٣٤٨) (٣٤٨)

سَلِّ مَلُوكَ الْأَرْضِ عَنْ دُنْيَا الْغُرُورِ      فِي الْمَلَاهِي خَلْفَ أَسْتَارِ الْحَرِيرِ  
زَلْزَلَتْهُمْ بَيْنَ أَبْرَاجِ الْقُصُورِ      ضَرْبَةً مِنْ سَهْمِ عُرْيَانٍ فَقِيرِ  
(٣٤٨) (٣٤٨) (٣٤٨)

ضَرَبَ الْبَحْرَ كَمَوْسَى بِعَصَاهُ      وَرَمَى الصَّخْرَ حُطَامًا مِنْ زَجَاجِ  
ذَلِكَ الْأَوَابُ فِي ثَوْبٍ تَقَاهُ      أَلْزَمَ التَّيْجَانَ تَقْدِيمَ الْخَرَاجِ  
(٣٤٨) (٣٤٨) (٣٤٨)

قَدْ جَرَتْ أَنْهَارُنَا مِنْ بَحْرِهِ      وَأَضَاءَتْ نَارُنَا مِنْ خَمْرِهِ  
بَسْمَةُ الْوَرْدِ شَذَا مِنْ عَطْرِهِ      شَعْلَةُ الْمَجْدِ سَنَا مِنْ فِكْرِهِ  
(٣٤٨) (٣٤٨) (٣٤٨)

شَأْنُنَا فِي الدِّينِ لَا يَعْدُو الْخَبَرَ      وَهُوَ فِي الدِّينِ شُهُودٌ وَنَظَرُ  
نَحْنُ عِنْدَ الْبَابِ فِي ظِلِّ الشَّجَرِ      وَهُوَ فِي الدَّارِ فِي مَجْنَى الثَّمَرِ  
(٣٤٨) (٣٤٨) (٣٤٨)

لَبْنِي الْإِفْرَنْجِ فِي الدُّنْيَا عَيْدُ      فِي قِيُودٍ مِنْ حَرِيرٍ أَوْ حَدِيدِ  
كَمْ تَغْنَى بِمَزَايَا بَايَزِيدِ      ذُو رِيَاءٍ وَهُوَ لِلْوَرْدِ مُرِيدِ  
(٣٤٨) (٣٤٨) (٣٤٨)

فِي حَدِيثِ الْمُصْطَفَى شَمْسُ الْهُدَى      كُلُّ أَرْضٍ مَسْجِدٌ لِلْمُؤْمِنِينَ  
كَيْفَ تَبْنِي فَوْقَ أَرْضٍ مَسْجِدًا      إِنْ تَرَكْتَ الْأَرْضَ لِلْمُسْتَعْمَرِينَ  
(٣٤٨) (٣٤٨) (٣٤٨)





يَكُونُ مَصِيرُهَا عَدَمًا وَمَحْوًا وَيَنْسَى نَقْشَهَا سِفْرُ الْوُجُودِ

□ ويقول عن القلب عالي الهمة:

فِيَا مَنْ هَامَ بِالدُّنْيَا مَتَاعًا وَأَصْبَحَ هُمًّا شَبَعًا وَرِيًّا<sup>(١)</sup>

تَطْلُبُ فِي حُضُورِ الْحَقِّ قَلْبًا وَفِيَا صَادِقَ الْإِيمَانِ حَيًّا

﴿٣٤٤﴾ ﴿٣٤٤﴾ ﴿٣٤٤﴾

فَهَذَا الْقَلْبُ لِلدُّنْيَا سَرَاجٌ لَهُ أُمَمُ الْخَلِيقَةِ فِي أَنْتِظَارِ

وَهَذَا الْقَلْبُ مَعْدِنُهُ تَرَابٌ وَجَوْهَرُهُ فَرِيدٌ فِي الدَّرَارِي<sup>(٢)</sup>

﴿٣٤٤﴾ ﴿٣٤٤﴾ ﴿٣٤٤﴾

يَفُوقُ السَّبْعَةَ الْأَفْلَاكَ قَدْرًا بِهَمَّتِهِ وَلَا يَأْلُو رُقِيًّا

يَقِيمُ عَلَى الثَّرَى وَلَهُ أَمَانٌ إِلَى الْعِلْيَاءِ أَدْنَاهَا الثَّرِيَّا<sup>(٣)</sup>

﴿٣٤٤﴾ ﴿٣٤٤﴾ ﴿٣٤٤﴾

وَفِي حَرْبِ ضُرُوسٍ<sup>(٤)</sup> كُلَّ حِينٍ مَعَ التَّارِيخِ مُتَّصِلِ النَّضَالِ

بِضَرْبَتِهِ الْجِبَالُ تَصِيرُ عَهْنًا وَتُرْهَبُ بِهِ الضَّرَاعِمُ فِي الْجِبَالِ

﴿٣٤٤﴾ ﴿٣٤٤﴾ ﴿٣٤٤﴾

تَرَى لِشَعُورِهِ الْمَشْبُوبِ نَارًا تُوقَدُ مِنْ حَرَارَتِهَا ذُكَاءٌ

لَهُ مِمَّا سَوَى التَّنُورِ خَبْزٌ وَمِنْ غَيْرِ الطَّعَامِ لَهُ غَذَاءٌ

﴿٣٤٤﴾ ﴿٣٤٤﴾ ﴿٣٤٤﴾

(١) رِيًّا: مصدر رَوِيَ، أي: شَرِبَ.

(٢) الدَّرَارِي، جمع الدَّرِّي: نسبة إلى الدَّر في حُسْنِهِ وَبَهَائِهِ.

(٣) الثَّرِيَّا: مجموعة النجوم.

(٤) حَرْبِ ضُرُوسٍ، أي: شديدة مُهْلِكَة.

حضورُ الحقِّ يملؤه يقينًا      فمنه الخوفُ مُحْضًا والرَّجاءُ  
شهودُ الحقِّ إنْ هُوَ غَابَ عنه      فليسَ له على الدُّنيا بَقَاءُ

﴿﴾

طيفِ الجُلُواتِ والخلُواتِ طُرًّا      يضيءُ الكونَ بالرأيِ المنيرِ  
وما للعشِّقِ في سُكْرِ وَصَحْوِ      دليلٌ غَيْرُ أَوَابٍ فَقِيرِ

﴿﴾

فصاحبٌ منْ له قلبٌ عَظِيمٌ      لعلَّكَ تدركُ الأمرَ العَظِيمَا  
وُلِدْتَ على مهادِ الدُّلِّ عبْدًا      فجاهدْ ثمَّ مُتْ حُرًّا كَرِيمًا<sup>(١)</sup>

﴿﴾

□ وقال رَحِمَهُ اللهُ:

قَدْ بَلَوتُ الرِّقَّ<sup>(٢)</sup> مُنْذُ الْإِبْتِدَاءِ      لَمْ يَكُنْ مَهْدِي فِي أَرْضِ الْحَرَمِ  
مِنْ رَسُولِ اللهِ يَعْرُونِي الْحَيَاءُ<sup>(٣)</sup>      حِينَ يَدْعُو بِاسْمِهِ الْغَالِي فَمِي

﴿﴾

لَكَ قَلْبٌ وَمَعَ الْقَلْبِ ضَمِيرُ      أَمْ غَدَا صَدْرُكَ لِلْأَصْنَامِ دَيْرًا<sup>(٤)</sup>  
أَنْتَ لِلْغَاصِبِ مُحْكُومٌ أَسِيرُ      تَحْتَ حُكْمِ الْغَيْرِ لَنْ تَصْنَعَ خَيْرًا

﴿﴾

(١) «ديوان إقبال» (٢/ ٣٧٢ - ٣٧٣).

(٢) الرِّقُّ: العُبوديَّة.

(٣) يعروني الحياءُ: يُصَيِّبُنِي الْحَيَاءُ.

(٤) دَيْرًا، مصدر من دَارَ يَدُورُ، أي: طَافَ حَوْلَهُ.

تَدَّعَى الْحُبُّ لَخَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ      أَكْذَبُ الْأَقْوَالِ مَا لَمْ يَبْدُ فِعْلاً  
وَإِذْ لَمْ يَتَّبِعِ الْقَوْلَ اقْتِدَاءً      لَمْ يَكُنْ لِلْحُبِّ أَوْ لِلْقُرْبِ أَهْلاً

﴿٣٥٥﴾

لَذَّةُ الْإِيمَانِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ      قَلَّ أَنْ يُذَرَّكَهَا عَبْدٌ ذَلِيلٌ  
مُسْلِمٌ مُسْتَسْلِمٌ لِلطَّامِعِينَ      آزَرِيٌّ<sup>(١)</sup> حَادٌّ عَنْ دِينِ الْخَلِيلِ

﴿٣٥٦﴾

صَلَوَاتُ الْحَرِّ بَعَثٌ لِلشُّعُورِ      فَهِيَ مِعْرَاجٌ إِلَى الْعَيْشِ الْكَرِيمِ  
وَصَلَاةُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ حُضُورٍ      عَادَةٌ جَوْفَاءٌ فِي رَسْمٍ قَدِيمِ

﴿٣٥٧﴾

إِنَّ لِلْأَحْرَارِ فِي الْعِيدِ السَّعِيدِ      مَظْهَرُ الْعِزَّةِ فِي دُنْيَا وَدِينِ  
وَلَدَى الْأَسْرَى فِي عَيْشِ الْعَبِيدِ      يُضْبِحُ الْعِيدُ هَجْوَ الْمُؤْمِنِينَ

﴿٣٥٨﴾

إِلَى الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ:

□ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي حَالٍ: «أَيُّهَا الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ! الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لِبَادِيَتِهَا  
وَصَحْرَائِهَا الْخُلُودَ، مَنْ الَّذِي سَمِعَ الْعَالَمَ مِنْهُ نِدَاءَ «لَا قِيَصَرَ وَلَا كَسْرَى»  
لأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي التَّارِيخِ، وَمَنْ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالسَّبْقِ إِلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؟ مَنْ  
الَّذِي أَطْلَعَهُ عَلَى سِرِّ التَّوْحِيدِ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَمَا  
هِيَ الْبَقْعَةُ الَّتِي اشْتَعَلَ فِيهَا هَذَا السَّرَاجُ الَّذِي أَضَاءَ بِهِ الْعَالَمُ؟ هَلِ الْعِلْمُ

(١) آزَرِيٌّ: نِسْبَةٌ إِلَى آزَرَ وَالِدِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والحكمة إلا فتاتٌ مائدتكُم، وهل قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] إلا وصف حالكم، إِنَّ نَفْسَ ذَلِكَ الْأَمِيِّ أَعَادَ عَلَى هَذِهِ الصَّحَرَاءِ الْخُصْبَ وَالنَّمُو، فَأَنْبَتَ الْأَزْهَارَ وَالرِّيَّاحِينَ، إِنَّ الْحَرِيَّةَ نَشَأَتْ فِي أَحْضَانِهِ، وَإِنَّ حَاضِرَ الشُّعُوبِ لَيْسَ إِلَّا وَلِيدُ أُمِّهِ، إِنَّ الْجَسَدَ الْبَشَرِيَّ كَانَ بَلَا قَلْبٍ وَرُوحٍ، فَأَعْطَاهُ الْقَلْبَ وَالرُّوحَ، وَكَشَفَ اللَّثَامَ عَنْ جِوَاهِرِ وَجْهِهِ، إِنَّهُ حَطَّمَ كُلَّ صَنَمٍ قَدِيمٍ، وَأَفَاضَ الْحَيَاةَ عَلَى غَصَنِ ذَاوٍ مِنْ أَغْصَانِ الْعُلُومِ وَالْمَدِينَةِ، وَأَنْجَبَ أَبْطَالًا وَقَادَةً مُؤْمِنِينَ، أَقَامُوا الْمَعَارِكَ الْفَاصِلَةَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَتَارَةً يَدْوِي الْأَذَانُ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ، وَتَارَةً يَتَجَلَّى الْأَذَانُ بِقِرَاءَةِ «الْصَّافَاتِ» بَيْنَ صَلِيلِ السِّيُوفِ وَصَهِيلِ الْخِيُولِ، إِنَّ سَيْفَ الْبَطْلِ الْمَغْوَارِ كَصَلَاحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ، وَنَظَرَةُ الزَّاهِدِ الْأَوَّابِ كَأَبِي يَزِيدَ الْبُسْطَامِيِّ مِفْتَاحَانِ كَنْوَزِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

إِنَّ الْعَقْلَ وَالْقَلْبَ يَجْتَمِعَانِ تَحْتَ لَوَائِهِ، إِنَّ الْعِلْمَ، وَالْحِكْمَةَ، وَالشَّرْعَ، وَالدِّينَ، وَالْمُلْكَ وَالْإِدَارَةَ، وَلَوْعَةُ الْقُلُوبِ مَقْتَبَسَةٌ مِنْ نُورِهِ، وَلَيْسَتْ «الْحَمْرَاءُ» فِي غَرْنَاطَةِ، وَقَصْرِ «التَّاجِ» فِي آكْرِهِ<sup>(١)</sup>، اللَّذَانِ خَضَعَ لِحِمَاهُمَا وَجَلَّاهُمَا كِبَارُ الْفَنَانِينَ النَّاقِدِينَ، وَعِظَمَاءُ الْعِبَادِ الزَّاهِدِينَ، لَيْسَ إِلَّا صَدَقَةٌ مِنْ صَدَقَاتِ بَعْثَتِهِ، وَمُظْهِرًا مِنْ مَظَاهِرِ عِبْقَرِيَّةِ أُمَّتِهِ، إِنَّ بَعْضَ مَظَاهِرِهِ تَجَلَّى فِي سَمَوِّ ذَوْقِ أُمَّتِهِ، وَسَلَامَةِ تَفْكِيرِهَا، وَجَمَالِ فَنَاهَا، أَمَّا بَاطِنُهُ فَقَدْ تَقَاصَرَ عَنْ إِدْرَاكِهِ كِبَارُ الْعَارِفِينَ.

لَقَدْ كَانَ الْإِنْسَانُ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ، وَقَبْضَةً مِنْ أَشْلَاءٍ وَعِظَامٍ، لَا يَدْرِي مَا الْكِتَابُ، وَلَا الْإِيمَانُ، فَعَرَفَهُ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَأَذَاقَهُ لَذَّةَ الْعِبَادَةِ

(١) تاج محل الذي بناه جهانكير، ويُعدُّ اليوم من العجائب السبعة في العالم.



والإحسان، فجزاه الله عن الإنسانية أفضل الجزاء».

□ ثم يقول رَحِمَهُ اللهُ: «أيها العرب قد منَّ الله عليكم؛ إذ جعلكم مثل السيف البتار أو أَحَدٌ منه، وكنتم فيما قبل ترعون الإبل في الصَّحراء، تركبون عليها، وتظعنون بها، ثم انعكست الآية، فسخر الله لكم المقادير، فضلًا عن الإبل، فأصبحتم من مالكي أَعْتَتِها، فلو أقسمتم على الله لأبرَّكم، وهنالك دوت تكبيراتكم وصلواتكم، وزمزمت جلبةُ حروبكم ومغازيكم بين الخافقين، فارتجَّ بها ما بين الشرق والغرب، فما أحسن تلك المغامرات، وما أجمل تلك الغزوات».

وبعدما يمدحهم الشَّاعر، ويذكرُ حماسَتهم الإسلامية، وغضبَتهم المضرية في الله ورسوله، ويبيدي فرحه وسروره، يقف برهة، يملكه الحزن والتألم بما يرى من خمود العرب بعد النشاط، والإحجام بعد الإقدام، والفرقة بعد الوَحْدَة، والعبودية بعد السيادة، والاتباع بعد القيادة، ويقبل إليهم مخاطبًا معاتبًا، ويقول: «أسفًا على هذا الخمود والجمود، أيها العرب! ألا ترون إلى الأمم الأخرى، كيف تقدَّمت وسبقت! أما أنتم فما قدَّرتُم قدَّرَ هذه الصحراء التي نشأتم فيها، وهذه الحرية التي ورثتموها، كنتم أُمَّةً واحدةً، أُمَّةُ الإسلام، فصرتم اليوم أممًا، وكنتم حزبًا واحدًا، حزب الله، فأصبحتم أحزابًا، لقد فرقتم جمعكم، ومزَّقتم شملكم، وانقسمتم على أنفسكم».

□ اعلموا أيها السادة! أنَّ منْ ثار على شخصيته وكرامته، وفقد الثقة بنفسه مات، ومُحِي من الوجود، ومن فرَّ من معسكره وانحاز إلى صفوف الأعداء، وتطفَّل على مائدتهم، عوقب بالهوان والشَّقاء، والطَّرْد والجلاء،

ألا إنه لم يَجِنِ عدوٌّ على عدوٍّ مثل ما جنيتم أنتم على أنفسكم، ولم يُسِئ أحدٌ إلى أحدٍ إساءتكم إلى أمّتكم، إنكم آذيتم روحَ رسول الله ﷺ بصنيعكم، فهي متألّمة متوجّعةٌ شاكيةٌ مستغيثةٌ.

□ الشاعر عارف بمكائد الإفرنج، وما لديهم من سهامٍ مسمومة، وحبائلٍ منصوبة، فيُرسل صيحته، يُنذر المسلمين من المصير المظلم المؤلم، ويقول: «مَهْلًا أيها الغافلون! إيّاكم والرُّكونَ إلى الإفرنج، والاعتمادَ عليهم، ارفعوا رؤوسكم، وانظروا إلى الفتن الكامنة في مطاوي ثيابهم، إلّا أنه لا حيلة لكم ولا وزر إلّا أن تطردوهم عن منهلكم، وتذودوهم عن حوضكم، إن حكمة الغرب قد أسرت الأمم، وتركتها سلبية حزينة لا يملك شيئًا، إنها مزّقت وحدة العرب، واقتسمت تراثهم، إنّ العرب لما وقعوا في حبالهم تنكّر لهم كل شيء، وقسا عليهم هذا الكون، ولم يجدوا من يرثي لهم، ويرفّق بهم، وضافت عليهم الأرض بما رحبت وضافت عليهم أنفسهم».

□ ثم يقول للعرب المسلمين: «إنّ الله قد رزقكم البصيرة النافذة، ولا تزال فيكم الشرارة كامنة، فقوموا أيها العرب! ورّوا فيكم روح عمر بن الخطاب مرّة أخرى، إنّ منبع القوة ومصدرها هو الدين، منه يستمد المؤمن العزم واليقين، وما دامت ضمايركم أمينة للسرّ الإلهي، فيا عمّار البادية! أنتم الحُرّاس للدين، وأمناء الله في العالمين.

إن غريزتكم العربية والإسلامية ميزانٌ للخير ميزانٌ للخير والشر، وأنتم ورثة الأرض، إذا تألّق نجمكم في آفاق السماء أفلّت نجوم الآخرين، وطوّي بساطهم، لن تسعهم الصحراء والفيافي، فاضروا

خيمتكم في وجودكم، الذي يَسَعُ الآفاق، كونوا أسرع من العاصفة،  
وأقوى من السَّيْل، حتى تُسْرِعَ ركائبكم في مضمار الحياة، وتُسَبِّقَ الريح..  
فيا رجلَ البادية وسيد الصحراء! عُدْ إلى قَوَّتِكَ وعَزَّتِكَ، وامتلِكْ  
ناصيةَ الأيام، وخذ عِنانَ التاريخ، وخذ قافلة البشرية إلى الغاية المثلى.

فَكُورُوا فِي عَضْرِكُمْ وَاسْتَبَقُوا      طَالَمَا كُنْتُمْ جَمَالًا الْأَعْصَرُ  
وَامْلُؤُوا الصَّخْرَاءَ عِزًّا وَاخْلُقُوا      مَرَّةً أُخْرَى بِهَا رُوحَ عُمَرَ<sup>(١)</sup>  
تَمْسَاحٌ يَعْلَمُ صَغِيرَهُ عُلُوَّ الْهَمَّةِ:

□ قال إقبال:

وَلِلتَّمْسَاحِ هَذَاكَ الْكَلَامُ      «لَزُومُ الشُّطِّ فِي دِينِي حَرَامٌ»  
عَنِ الشُّطِّ ابْتَعِذْ، مَوْجًا تَسْلُقُ      نَعِشْ فِي بَحْرِنَا وَبِهِ نَنَامُ

﴿٣٨٨﴾ ﴿٣٨٩﴾ ﴿٣٩٠﴾

وَهَذَا الْبَحْرُ فِي صَدْرِ حَمَلَتِهِ      وَذَا الطُوفَانُ فِي حَرْبِ غَلَبَتِهِ  
وَلَوْ فِي بُرْهَةٍ أَغْيَا وَأَغْفَى      لَكَانَ مَقَاتِلًا مَا إِنْ قَتَلْتَهُ<sup>(٢)</sup>  
ثُرْبُهُمَّةٌ قَلْبِكَ:

□ قال إقبال:

وَهَذَا الْقَلْبُ بِحَرٍّ مِنْكَ يَسْكُنُ      وَمِنْ جَرَّاءِ<sup>(٣)</sup> فِيهِ الدُّرُّ يَكْمُنُ  
فُتْرُ يَا مَوْجُ واحْذَرْ مِنْ سُكُونِ      فَهَذَا الْبَحْرُ دَارًا مِنْكَ يَحْسُنُ

(١) «ديوان إقبال» (٢/ ٣٨٨).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٨٠).

(٣) مِنْ جَرَّاءِ: مِنْ أَجْلِكَ.

إلى ذاتٍ لك الدَّارَيْنِ فاجْذِبْ      أَعَنَ ذَاتٍ تُشْرِقُ أَوْ تُغَرِّبُ  
ويومَكَ مِنْهُمَا نورًا لتُبْصِرَ      وهذا النُّورُ يومَكَ لا تُجَنِّبُ<sup>(١)</sup>

لا يبكي الرجال :

□ قال رَحِمَهُ اللهُ:

مِنَ التَّبْرِيحِ لا يبكي الرجالُ      بَصُرَ الدَّهْرَ يومًا لم يُيَالُوا<sup>(٢)</sup>  
وقد تبكي ولكن لست منهم      لدَمْعٍ من لظى الشوق انهمال<sup>(٣)</sup>  
ومَن في محنة نَسِي الفناء      ولو شهدته في الموت السماء<sup>(٤)</sup>  
وأنت بموته هذا جديرٌ      وإلا فلتمت موتًا تَشَاءُ  
تُرَابُكَ وَهُوَ عن روح غريب      غصونك ليس يروها صيب<sup>(٥)</sup>  
عليك بحرقَةِ الأنفاس واسعد      فمبتهج بها الصدر الكئيب<sup>(٦)</sup>

القلب العَلِيُّ الهمة ووارداته :

بِلا شَطِّ خِضَمٍّ كانَ قَلْبًا      يثِيرُ بهيئة الأمواج رُعبًا

(١) «ديوان إقبال» (٢/ ٤٨٤).

(٢) التبريح: مَنْ بَرَحَ به الأمرُ: إذا أجهده وآذاه.

(٣) انهمل الدمع: سال.

(٤) المحنة: بمعنى الامتحان والشدة. وفي هذا احتمال التلويح إلى من يموتون من أجل عقيدة يعتقدونها.

(٥) الصَّيب: المصبوب. والمقصود به هنا الماء.

(٦) «ديوان إقبال» (٢/ ٤٨٥).



بِسَيْلٍ مُفَرِّقٍ سَهْبًا وَسَهْبًا  
وَيَنْجَحُ سَعْيُهُ دَهْرَ مُثَابِرٍ  
وَصُنْ لِلْقَلْبِ سُلْطَانًا وَفَقْرًا  
قَوِيٍّ لِلذَّاتِ يَوْمًا مَا بَلَوْتَا  
يَدُومُ الْعَقْلُ لِلْإِنْسَانِ قَيْدًا  
إِذَا فِي صَدْرِهِ الْقَلْبُ افْتَقَدْتَا<sup>(١)</sup>  
الشَّاهِينَ<sup>(٣)</sup>؛

ثُمَّ أَلْقَيْتُ كُلَّ شَيْءٍ وَرَائِي  
لَيْسَ يَقْتَاتُ غَيْرَ حَبٍّ وَمَاءٍ  
وَهَمًّا فِي سَجِيَّتِي وَدِمَائِي  
لَوْعَةِ الْعَنْدَلِيبِ عِنْدَ الْمَسَاءِ  
لَيْسَ تُغْفِرِي مَنْشَأًا فِي الْعَرَاءِ  
وَأَذَلَّتْ حَمَامَةٌ كَبِيرَائِي  
وَأَرْوِي حِمَاسَتِي وَإِبَائِي  
بِأَفْرَاسِي أَصُونُ عِزَّةً وَجْهِي

(١) الخصم: البحر. السهب: الأرض المنبسطة. والحباب: الفقاقيع التي تعلق الماء. والشاعر يريد ليقول: إن الأفلاك كلها لا تُساوي فقاعةً واحدةً من إرادات القلب عالي الهمة ووارداته.

(٢) «ديوان إقبال» (٢/٤٨٧).

(٣) الشاهين: نوع من الصقور، وهو الطير المختار عند إقبال؛ لأنه لا يئس لنفسه عشتاً يعني أنه زاهد، ويطير إلى الأعالي، وليس نجيلاً ويقنع بالزهيد، ولا يأكل مما يقنصه الآخرون.

كلُّ طيرٍ له من الأرض عِشٌّ      وأنا ها هنا حليف مضائي  
كيف يبني قلندر الطَّير عِشًّا      وهو الفَرْدُ في رحابِ السَّماءِ<sup>(١)</sup>  
النَّسْرُ والنَّمْلَةُ:

قالت النَّمْلَةُ للنَّسْرَ الذي      مرَّ يومًا ما على وادي النَّمْلِ  
أنت ترعى في بساتين النُّجوم      وأنا في شقوة العيش المُذِلِّ  
قال: لكن أنا لا أبحث عن      مؤني مثلك في هذا التُّرابِ  
لستُ ألقى نظرةً حتَّى ولا      للسمواتِ التي فوق السَّحابِ<sup>(٢)</sup>

ودنيُّ الهمَّة الذي يخوض في الدين ويُجادل في الكتاب:

□ قال إقبال:

ألا ترثي لعُصفورٍ      عن الطَّيران قد مُنعا  
إذا استخفى وحاول أنْ      يطيرَ لو حُدِّه وقعا  
يحاولُ أن يكون      فؤادُه بيتًا لجبريل  
وليس له من الطَّيران غير القال والقيـل  
هل العصفورُ بين الشُّوك كالعصفور في الجنَّة  
بربك هذه حريَّةٌ في الفكر أم جنَّة  
فقل لمفكِّرٍ حرٍّ      أضلَّ الفكرُ وجدانَه  
تعالى الله أن يلهمَّ ما يُبطِلُ قرآنَه

(١) «ديوان إقبال» (٢/ ٥٤٧).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٥٥٠).

ଓଡ଼ିଆ ଓଡ଼ିଆ

(۲) «دیوان اقبال» (۲/ ۵۵۰).

وحواه القلب، هذا الخاتم  
كلُّ ما أبصرت من أمرٍ جليل  
من جلالٍ وجمالٍ وعبر  
كلُّ ما حُدِّثَ عن أبراره  
أو فُيوضَ الله في الكونِ الكبير<sup>(١)</sup>  
هو خفق القلب يرمي بالشرر  
فهو نار في دجاها وهو ثور  
واملؤوا الآفاق منه بالسَّنا  
ارفعوها عن معانٍ خامده  
ومعانٍ كلَّها نبتُ التُّراب  
لا ربَّاشٍّ ومتاعٌ للبلبي  
وزنُّه بين الورى منبُتُهُ  
حلَّقَنُ في جوِّها مثل العقاب  
من لهذا الكونِ في يومٍ وغد  
أبصر الإنسان يا قومي هوى<sup>(٢)</sup>

ضاق عن أمرِ الإله العالم  
كلُّ ما أدركت من معنى جميل  
كلُّ ما أوعاهُ تاريخُ البشر  
كلُّ ما سُجِّلَ عن أخياره  
هو نورُ الله في القلب الصغير  
هو نبضُ القلب في الدنيا انتشر  
إنَّما الإيمان بالدُّنيا يدور  
فاجعلوا منه تباشيرَ المنى  
ارفعوا الأنفسَ فيه صاعده  
عن متاعٍ وطعامٍ وشراب  
قيمة الإنسان قلبٌ للعلی  
كلُّ ساعٍ قَدْرُهُ بغيثُهُ  
أيُّها القانع دودًا في تراب  
أيُّها السادرُ في لهوٍ ودَد  
أنقذوا الإنسان من هذا الرَّدی

﴿ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ﴾

(١) الكون الكبير: هو القلب.

(٢) «ديوان إقبال» (١/ ٣٦٢ - ٣٦٣).



### أَيُّهَا الْمُسْلِمُ:

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ يَا مَنْ خُلِقَا  
 انْهَضْ يَا صَاحِبَ الْعَبِّ الثَّقِيلِ  
 قَدْ قَضَى الْخَلَقَ بِالْأَمْرِ إِلَيْكَ  
 سَطَرُنْ بِالْحَقِّ فِي هَذِي الْبِلَادِ  
 أَنْقِذِ الْإِنْسَانَ مِنْ هَذَا الشَّقَاءِ  
 اْمَلَأِ الْأَرْضَ بِحُبٍّ وَصَفَاءِ  
 وَاحْكَمْ بِالْحَقِّ فِي أَرْجَائِهَا  
 وَامْلَأِ الْآفَاقَ حَقًّا وَسَنًا  
 عَلِّمِ الْإِيْمَانَ وَالْحَقَّ الْعَلِيَّ  
 زَهْدَ مَنْ يَمْلِكُ آلَافَ الْأَلُوفِ  
 قَوْلَةً فِي الْحَقِّ أَعْلَى عِنْدَهُ  
 كُلُّ مَا يَمْسُكُ مِنْهَا دَرَاهِمُ  
 هَذِهِ الْأَمْوَالُ جَمْعًا يَا بَنِي  
 إِنَّهَا اللَّعْبَةُ فِي عَيْنِ الْحَكِيمِ  
 جَوْهَرًا يَحْسَبُ مَنْ لَا يَعْرِفُ  
 إِنَّهَا الْجَوْهَرُ قَلْبٌ قَدْ أَضَاءَ  
 لَا يَعَافُ الْحَرُّ أَكْلَ الطَّيِّبَاتِ  
 رَبِّهَا اسْتَوَى عَلَى أَعْدَادِهَا

لِيَكُونَ الْحَقُّ فِيهِ خُلُقًا  
 أَنْتَ فِي الْأَرْضِ عَنْ اللَّهِ وَكِيلُ  
 قَسَمِ الْأَرْزَاقِ يَوْمًا بِيَدِكَ  
 وَاحْكَمْ بِالْعَدْلِ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ  
 وَأَزِلْ مِنْ أَرْضِنَا هَذَا الْعَنَاءَ  
 وَسَلَامَ وَوَدَادٍ وَإِخَاءَ  
 وَأَنْعَمَنْ بِالْأَمْنِ فِي أَفْيَائِهَا  
 وَامْلَأْنِ بِالْخَيْرِ آفَاقَ الدُّنَا  
 عَلِّمِ الْإِيْثَارَ وَالزَّهْدَ الْغَنِيَّ  
 وَهِيَ فِي عَيْنِهِ لَغَوٌّ وَزِيُوفُ  
 فَعَلَةٌ فِي الْخَيْرِ أَعْلَى عِنْدَهُ  
 كُلُّ مَا يَنْفَقُ مِنْهَا مَغْنَمُ  
 لَا تَسَاوِي ذِلَّةَ الْحَرِّ الْأَبِي  
 إِنَّهَا الدَّرَاهِمُ فِي كَفِّ الْكَرِيمِ  
 وَهِيَ عِنْدَ الْعَارِفِينَ الصَّدْفُ  
 وَسِعَ الْأَرْضَ جَمِيعًا وَالسَّمَاءَ  
 أَخَذَا فِي الْأَرْضِ كُلَّ الثَّمَرَاتِ  
 رَبِّهَا أَوْفَى عَلَى آمَادِهَا

رَابِحًا أَوْ خَاسِرًا لَا يَأْبَهُ  
فَاكْهَهَا فِي نَعْمَةٍ وَلَا تَفْسِدَهُ  
لَا يُرِيغُ الرِّزَاقَ فِيهَا صَاغِرًا  
مِثْلَ مَا يَفْزَعُ مَنْ قَدْ لُسِعَا  
وَاسْتِثَارَ النَّارَ مِنْ عَزْمَتِهِ  
وَإِذَا الْحُلُمُ ضَرَابٌ وَطِعَان  
فَارَقَ الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ إِيَاب  
وَحَيَاةَ الْحَرِّ فِي عَزَّتِهِ  
وَكُنَ الْحَرُّ الْكَرِيمَ الْآبِيَا<sup>(١)</sup>

أَخِذًا أَوْ مَعْطِيًا لَا يَشْرَهُ  
عَبْدَ الدُّنْيَا وَلَا تَسْتَعْبِدَهُ  
حَائِمًا لِلرِّزْقِ صَقْرًا طَائِرًا  
فَإِذَا شِيمَ هَوَانًا فَزَعَا  
وَاسْتَمَدَّ الْعِزَّ مِنْ هَمَّتِهِ  
فَإِذَا الْمَاءُ لَهَيْبٌ وَدُخَان  
وَإِذَا سُدَّ عَلَيْهِ كُلُّ بَاب  
إِنَّ مَوْتَ الْحَرِّ فِي ذَلَّتِهِ  
فَكُنِ الصَّقْرَ الْآبِيَّ الْعَالِيَا  
الْهَمَامُ .. عَالِي الْهَمَّةِ :

وَأَزَالَ السِّتْرَ عَنْ نَوْرِ النِّجَاهِ  
وَأَفَاضَ النُّورَ مِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ  
مِنْهُ عَشَقُ الْحَقِّ فِي الْقَلْبِ اسْتَعْرَ  
فَرَأَى الدَّوْحَةَ مِنْ تَحْتِ التُّرَابِ  
ضَجَّتِ الْأَفْلَاكُ مِنْ أَنَاتِهِ  
فَتَجَلَّى نَوْرُهُ فِي قَلْبِهِ  
وَاسْتَوَى فِي فِكْرِهِ مَاضٍ وَأَت

بَيَّنَ الْهَمَامُ مَنْ سَرَّ الْحَيَاةَ  
بَيَّنَ الْهَمَامُ مَنْ سِيرَ الزَّمَانَ  
بَثَّ فِي النَّفْسِ كَلَامًا مِنْ شَرَرِ  
فَتَقَتْ نَظْرَاتِهِ كُلَّ حِجَابِ  
ضَاقَتْ الْأَفَاقُ عَنْ نَظْرَاتِهِ  
وَصَلَّتْهُ نَفْخَةٌ مِنْ رَبِّهِ  
قَدْ ثَوَى فِي قَلْبِهِ كُلُّ الْجِهَاتِ

(١) «ديوان إقبال» (١/ ٣٦٤، ٣٦٥).

سَالِ فِي الْحَانَةِ دَمْعٌ وَدُمٌّ      وَالتَّقَى الْمَاءُ عَلَيْهَا وَالضَّرْمُ

﴿٣٨٨﴾ ﴿٣٨٩﴾ ﴿٣٩٠﴾

يَا بَرُودَ الْقَلْبِ خُذْ مِنْ نَارِهِ      فَالْحَيَاةُ الْحَقُّ فِي أَشْعَارِهِ  
يَا مَوَاتَ الْقَلْبِ خُذْ مِنْ رَجْعِهِ <sup>(١)</sup>      يَا جَمُودَ الْعَيْنِ خُذْ مِنْ دَمْعِهِ  
يَا صَغِيرَ الْهَمِّ خُذْ مِنْ هَمَّتِهِ      يَا كَلِيلَ الْعَزْمِ خُذْ مِنْ عَزَمَتِهِ  
يَا أُسِيرَ الْيَأْسِ خُذْ آمَالَهُ      فِي دَجَى الْيَأْسِ أَثِرُ أَقْوَالِهِ  
أَيُّهَا الْمُسْلِمُ صَعِدْ فِي السَّمَاءِ      وَابْلُغْ فِي جَوْهَا أَعْلَى الْعِلَاءِ  
وَخُذِ الْإِقْدَامَ مِنْهُ وَالطَّيَّاحَ      وَجَنَاحًا قَاهِرًا هُوجَ الرِّيَّاحِ

﴿٣٩١﴾ ﴿٣٩٢﴾ ﴿٣٩٣﴾

ذَا ضِيَاءِ الدِّينِ مَنْ خَلْفَ الْعُصُورِ      قَدْ أَتَى فِي عَزْمِهِ نَارٌ وَنُورٌ  
إِنَّهُ الْإِسْلَامُ فِي عَزَّتِهِ      إِنَّهُ الْإِيمَانُ فِي قَوَّتِهِ  
أَثَرُ الْقُرْآنِ فِي أَنْوَارِهِ      وَضِيَا <sup>(٢)</sup> الْفَرْقَانِ فِي أَسْرَارِهِ  
□ وَلِلَّهِ فِي الْقَائِلِ:

وَمَا الصَّحْرَاءُ تَحْوِينِي تَرَابًا      وَلَا الدَّأْمَاءُ يَتَطْوِينِي عُبابًا  
زَجَاجِي مِنْهُ تَرْتَعِدُ الصُّخُورُ      وَأَفْكَارِي بِلَا شَطِّ بُحُورُ  
وَلِي فِي الْقَلْبِ وَهَّاجُ السَّعِيرِ      دَجَاكَ أَنْزِرْ بِمَصْبَاحِي الْمُنِيرِ

﴿٣٩٤﴾ ﴿٣٩٥﴾ ﴿٣٩٦﴾

(١) الرَّجْعُ: الْمَطَرُ.

(٢) ضِيَا: أَيُّ ضِيَاءٍ.

□ والله درّ القائل:

عَلُّوْهُمَّةِ الْمُقْصُودُ فَاعْرِفْ      كَجَبْرِيلِ الْأَمِينِ إِذَا فَرَفَرَفْ  
وَمِنْ رِيحِ الْقَمِيصِ <sup>(١)</sup> فَنَلْ نَصِيْبًا      تَنْسَمُ مِنْ ضَفَافِ النِّيلِ طِيْبًا  
وَذَاتِكَ نَسِيرَيْنِ <sup>(٢)</sup> بِهَا تَصِيدُ      وَمِنْ تَدْبِيرِهَا لَهَا الْقِيُودُ  
لَهِيْبِ الْعِزْمِ فِي دُنْيَاكَ أَضْرَمْ      بَغْزُوكَ مَا تَرَى أَوْ غَابَ قَوْمُ  
□ والقائل:

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ يَا نُورَ السَّمَاءِ      كَيْفَ لَا تَشْرُقُ فِي أَرْضِ الْبَشَرِ  
أَنْتَ سُلْطَانُ اللَّيَالِي لَا كَمَا      قَالَتِ الْحَمَقَى أَسْرًا لِلْقَدَرِ  
إِنَّ أَصْنَامِي الَّتِي فِي مَعْبَدِي      مِثْلُهَا تِلْكَ الَّتِي فِي مَعْبَدِكَ  
لَمْ تَحْطُمْهَا يَدٌ غَيْرُ يَدِي      فَتَرْفَعُ عَنْ يَدٍ غَيْرِ يَدِكَ  
ذَلِكَ الْأَعْمَى الَّذِي تَقْصِدُهُ      مَا لَهُ عِلْمٌ بِمَا فِي قَلْبِكَ  
هُوَ لَا يَبْصُرُ حَتَّى نَفْسَهُ      وَتَرَاهُ تَحْفَةَ مَنْ رَبِّكَ  
□ وقائل:

رَجُلُ الْبَصِيرَةِ لَا يَذُوقُ هَوَانًا      سَيِّآنَ عَبْدًا كَانَ أَوْ سُلْطَانًا  
يَخْتَالُ وَالِدَرَّعِ الْوَحِيدَةِ زَهْدُهُ      لَا يَشْتَكِي زَمَنًا وَلَا شَيْطَانًا

(١) قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوْهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَنْتُمْ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣] وَقَدْ أَرْسَلَ قَمِيصَ يُوسُفَ مِنْ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، وَوَجَدَ فِيهِ يَعْقُوبَ رَاحِئَةً يُوسُفَ، فَارْتَدَّتْ إِلَيْهِ بِصَرِهِ.  
الرَّيْحُ: الرَّاحَةُ. تَنْسَمُ: شَمَّ.  
(٢) الْمُرَادُ بِالنِّيرَيْنِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.



□ والقائل:

|                          |                           |
|--------------------------|---------------------------|
| عَجَبًا لأورْبَةِ        | بِالنَّهْرِ تُغْرِينَا    |
| وَبِذَاتِ لَجْنَتِهِ     | ضَاعَتْ مَعَانِينَا       |
| تُخْفِي بِهَدَاتِهَا     | تَيَّارَهَا الْمَاحِي     |
| عَصَفْتُ فَمَا تَرَكْتُ  | وَكُرًّا التِّمْسَاحِ     |
| رَأْيِي الْعَبِيدَ بِهَا | لَا نَظْمُنُّ لَهْ        |
| وَتَقَرَّرُ الْأَحْرَارُ | الرَّأْيَ مَجْمَلَهْ      |
| لَا شَيْءٌ يُقْنِعُنَا   | إِلَّا اجْتِهَادُ وَفِي   |
| يَسْأَتِي بِلَوْلُؤِهِ   | مِنْ ذَلِكَ الصَّدْفِ     |
| ذَاكَ الرَّجْجَاجِ إِذَا | عَجَّتْهُ فِي الْكَبِيرِ  |
| فَأَنَا أَسْنُوِيهِ      | صَخْرًا بِإِكْسِيرِي      |
| لِي فِي الْجَهَادِ يَدٌ  | فِرْعَوْنُ يُخْشَاهَا     |
| بِإِضَاءِ مَا مُدَّتْ    | إِلَّا لِمَوْلَاهَا       |
| أَنْظُنُّ أَوْرَبَةَ     | أَنْ يَنْتَهِي نَفْسِي    |
| أَوْ تَنْطَفِي نَارِي    | فِي قَشَّهَا الْيَبْسِ    |
| نَارِي وَقَدْ أَذَكْتُ   | مَا اخْضَرَّ مِنْ قَصْبِي |
| لَا شَيْءٌ يَمْنَعُهَا   | مِنْ ذَلِكَ الْحَطَبِ     |
| مَتَفَاهِمٌ قَلْبِي      | لَا يَعْرِفُ الْيَأْسَا   |
| الْحَبُّ عَلَّمَهُ       | أَنْ يُرْغِمَ النَّفْسَا  |

من عُسْر عَالِمِهِ      يستخرج اليُسْرَا  
 لا قَصْرَ قِصْرِهِ      يرجو ولا كِسْرَى  
 مُتَعَلِّقٌ أَبَدًا      برِكَابِ سَيِّدِهِ  
 لا غَزْوَ لِلْأَقْبَارِ      يَسْقُطْنَ فِي يَدِهِ  
 هو سَيِّدُ الْأَشْيَاءِ      هو خَاتَمُ الرُّسُلِ  
 هو شَعْلَةُ السَّارِي      في هذه السُّبُلِ

□ وما أجمل قول القائل:

إِذَا خُضْتَ مَعْرَكَةً فَلْتَكُنْ      كموسى بخطوته الضَّارِبُ  
 فَمِنْ ﴿لَا تَخَفْ﴾ شَعْلَةٌ لَمْ تَزَلْ      تصاعدُ في الأجمة اللاهِبُ  
 □ والله درّه إذ يقول:

أَتَطْلُبُ جِيفَةَ الْغَرْبَانِ هَاتِيكَ الشُّوَاهِينُ  
 إِذَا أَخْفَتْ مَخَالِبَهَا      فَأَعَيْنُهَا سَكَكِينُ

□ وما أحلى قوله:

لَسْتُ أَخْفِيكَ أَنْنِي لَمْ يَرْقُ لِي      ذلِكَ الْعَيْشُ فِي طُقُوسِ الصَّوَامِعِ  
 لَا يَصِيدُ الْعَنْقَاءَ صَيَّادُ سَوْءٍ      مُلِئْتُ نَفْسُهُ بِذُلِّ الْمَطَامِعِ  
 طِرْتَ أَمْ غُضَّتْ فِي سَمَاءٍ وَبَحْرِ      أَمْ تَرَا جَعْتَ عَنْهَا وَجَبُنْتَ  
 لَيْسَ يَدْعُو إِلَى الرَّثَاءِ وَجُودٌ      كَالْوَجُودِ الَّذِي تَعَانِيهِ أَنْتَ  
 وَسَوَاءٌ، فَلَا تَقُلْ عَرَبِيٌّ      كُنْتَ أَوْ لَمْ تَكُنْ فَلَيْسَ يُفِيدُ  
 سَتَرِي الذِّكْرَ أَجْنَبِيًّا إِذَا لَمْ      يَكْ لِلذِّكْرِ فِي الْفَوَادِ شَهِيدُ

□ وقوله:

النخلة الشَّيْءُ أَخْتُكَ كُؤْنَتْ  
أَتَطُوفُ فِي الْحَانَاتِ تَسْتَقِي كَأْسَهَا  
مَا فِي مَدَارِسِكَ الَّتِي تَرْتَاذُهَا  
سِرُّ الدِّرَاسَةِ فِي فِؤَادِكَ كَامِنٌ  
لَمْ تَبْقَ يَا مَسْكِينُ إِلَّا فَرَصَةٌ  
اطْلُبْ عُلُومَ الْقَلْبِ مِنْ أَسَاتِذِهَا

□ وقوله:

رَأَيْتُ فَلَاسِفَةً بِالْأَلُوفِ  
وَذُو الْوَحْيِ يَرْفَعُ مِنْ رَأْسِهِ  
□ وقوله:

شَبَابٌ قَعُودٌ رَقُودٌ نِيَامٌ  
فَوَا أَسْفًا كَيْفَ هَذَا السَّهَامِ  
يَقُولُونَ بَحْرٌ عَمِيقٌ عَمِيقٌ  
بَحِثْتُ بِهِ مَوْجَةً مَوْجَةً  
أَمَّا أَنْ تَهْجُرَ أَصْنَائَهُمْ  
وَعَايَةَ أَصْنَائِهِمْ أَنَّهَا  
□ وَلِلَّهِ دَرُّهُ حِينَ يَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الْمَدِينَةِ وَابْنُ النَّجْفِ

مِمَّا تَبَقَّى مِنْ بَقَايَا طِينَتِكَ  
وَتَطُوفُ مَخْنُوقًا بِعِلْمَانِيَّتِكَ  
إِلَّا بِحُوثٍ مَغْفَلٍ وَبَلِيدٍ  
لَوْ كُنْتَ تُتَقَنُّ صَرْخَةَ التَّوْحِيدِ  
لَكَ فِي اسْتِعَادَةِ سِرِّكَ الْمَفْقُودِ  
وَاجْهَدْ لَنَيْلِ مَقَامِكَ الْمَحْمُودِ

رُؤُوسُهُمْ تَحْتَ أَطْمَارِهَا  
وَيَكْشِفُ أَوْهَامَ أَفْكَارِهَا

لِعَجْزِ الْأَمِيرِ وَفَوْضَى الْجُنُودِ  
تَطِيشُ بِلَا هَدَفٍ فِي الْوُجُودِ  
وَمَا أَضْيَعُ الْبَحْرَ مَا أَضْيَعُهُ  
وَقَلَّبْتُ قَوْعَةً قَوْعَهُ  
أَمَّا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ قُمْقُمِكَ  
تَزْخَرُفُ هَيْكَلَهَا مِنْ دَمِكَ

غِبَارُهُمَا كَانَ فِي مُقْلَتِي

وَأَنْفَعُ طَبِّ لَذِي عِلَّةٍ  
وَمَا كَانَ مِنْ مُسْتَبَدِّ عَتِي

غِبَارُهُمَا قَطْرَةٌ لِلْعُيُونِ  
مَقِيمٌ بِرَغَمِ رِيَّاحِ الْقُرُونِ

**قلق القلب عنوان علو همته :**

□ قلق القلب وتطلُّعُه للكمال، عنوانُ علو همته، والله ما أجمل قول

القائل:

وَعَطَاءٌ حَيَوِيٌّ  
قَلْقٌ، قَلْبٌ شَقِيٌّ

قَلِقُ الْقَلْبِ غِذَاءٌ  
إِنَّ قَلْبًا لَيْسَ فِيهِ

□ وقوله:

وَأَنَّهَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَكَ  
هَذَانِ جَانِبَانِ مِنْ مَوْضُوعِكَ

لَسْتُ لَهُذِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ  
وَلَسْتُ مَوْضُوعَهُمَا وَإِنَّمَا

□ وقوله:

كُلُّ مَا تَرْتَجِيهِ نَفْسُكَ عِنْدَكَ  
شَهِدَ اللَّهُ أَنَّكَ الْحَقُّ وَحْدَكَ

قَلْبُكَ الشَّمْسُ فاقْبِسِ النُّورَ مِنْهُ  
كُلُّ شَيْءٍ سِوَاكَ - أَنْتَ - سَرَابٌ

**أَرْضُنَا يَا عَالِي الْهَمَّةِ تَهْفُو لَطَهْرِكَ :**

أَنْتَ بَرَهَانُهَا وَأَنْتَ هُدَاها  
مَنْحَتُ أَغْيُنِ السَّمَاءِ مَدَاها  
أَنْتَ شَاهِدُهُ وَأَنْتَ رَسُولُهُ  
ذَاكَ دِينٌ وَلَيْسَ شَعْرًا أَقُولُهُ  
مِنْ جَنُونِ الْحَبِّ الَّذِي أَطْلَقُوهُ

أَرْضُنَا هَذِهِ لَطُهِرِكَ تَهْفُو  
قَلْبُكَ الْمَطْمَئِنُّ قَبْضَةُ نُورٍ  
عَنْ يَدِ اللَّهِ طَرَّتْ لَا عَنْ غِبَاءٍ  
وَلَكَ الْحُورُ وَالْمَلَائِكُ صَيِّدٌ  
أُتْرَى مَا لِلْمُسْلِمِينَ نَصِيبٌ



دُمُهُمْ كَانَ لِلشُّعُوبِ مَنَارًا      ثُمَّ هُمْ فِي ظِلَامِهِمْ أَهْرَقُوهُ  
 ذَاكَ أَنَّ الضُّلُوعَ خَارَتْ قُوَاهَا      لَمْ يَعُدْ بَيْنَهَا لَهَيْبٌ يَصُولُ  
 سَجْدَاتٍ رَتِيبةً فِي خَمُولٍ      وَصَفُوفٌ مُعَوجَةٌ وَذُهُولُ  
 أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْمُتَابِرُ يَرْجُو      ثَوْبَ تَقْوَاهُ كَنْ نَسِيَجِ حَيَاتِكَ  
 كُنْ وَحِيدًا وَوَحِّدِ اللَّهَ وَاكْشِفْ      سَحَرِ الْوَانِنَا بِقُوَّةِ ذَاتِكَ  
 كُنْ كَمَا الْمَوْجُ كُلَّ حِينٍ تَرَاهُ      يَدْرُسُ الشَّاطِئَ الَّذِي يَبْتَغِيهِ  
 انْتَزِعْ مِنْ يَدَيْهِ ثَوْبَكَ وَارْجِعْ      لَا تَغْرَنَّكَ الْإِقَامَةُ فِيهِ

### المؤمن عالي الهمّة:

□ يقول إقبال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن المسلم حيٌّ خالد، لا يزول، ولا ينقرض؛ لأنه يبلغ في أذانه تلك الحقائق والرسالات التي جاء بها إبراهيم، وموسى، وجاء بها النبيون، وقد قضى الله بخلودها وبقائها، فكيف تنقرض الأمة التي حملت هذه الأمانة، وتكفلت بتبليغ هذه الرسالة!». □

□ ويقول: «إن المسلم لا تعرف أرضه الحدود، ولا يعرف أفقه الثغور، وقد وسعت عاطفته ورسالته ومملكته الشرق والغرب. فليست دجلة في العراق، ودانوب في أوربة، والنيل في مصر، إلا موجة صغيرة في بحره الواسع ومحيطه الأعظم، إنَّ له عصورًا في التاريخ لا يقضى منها العجب، وله حكايات ومواقف في البطولة لا تزال موضع الدهشة والاستغراب، هو الذي أمر العصر العتيق -العصر الجاهلي- بالرحيل، وافتتح العصر الجديد، إنَّه إمام رجال الحبِّ والعاطفة، وفارس ميدان الإيمان والحنان، لسانه لبنٌ وعسل، وسيفه علقمٌ وحنظل، يعيش في ميدان

الحرب وتحت ظلال السيوف متذرعاً بالتَّوْحِيد، كلما اشتد به الخطب  
وعضته الحرب التجأ إلى إيمانه واعتماده على الله».

### أمام مسجد قرطبة.. وذكرى أولى الهمة العالية:

□ قال إقبال حين وقف على مسجد قرطبة وناجاه: «لقد كشفت أيتها  
المسجد العظيم! عن سرِّ المؤمن، ومثلته في العالم، وصورت ذلك  
الاضطراب الذي يقضي فيه نهاره، والرقّة التي يَمْضِي فيها ليله، صوّرت  
للعالم مقامه الرفيع، وتفكيره السَّامي، ومسراته وأشواقه، وتواضعه ودلاله».

□ ويقبل على المؤمن بهذه المناسبة، فيصف سموّه، وأخلاقه، وسيرته  
في العالم، فيقول: «إنَّ يد المؤمن هي جارحةُ القدرة الإلهية، فهي غَلَّابَةٌ،  
فَتَّاحَةٌ، قَاهِرَةٌ، نَاصِرَةٌ، أصله من تراب، وفطرته من نور، عبدٌ تَخَلَّقَ  
بأخلاق الله، واستغنى عن العالمين آماله ومطامعه قليلة، وأهدافه ومطامحه  
رفيعةٌ جليلة، ألقى عليه الحب، وكسي المهابة والجمال، دقيقٌ رقيقٌ في  
الحديث، قويٌّ نشيطٌ في الكفاح، نزيهٌ بريٌّ في السلم والحرب، إنَّ إيمانه هو  
النقطة الدائرة التي يدور حولها العالم، وكل ما عداه وهمٌّ وطمسٌ ومجاز،  
إنَّه الغاية التي يصل إليها العقل، ولبُّ لباب الإيمان والحبِّ، وبه نالت  
هذه الحياة بهجتها وقوتها».

□ ويقبل مرةً ثانيةً على المسجد، فيخاطبه في إجلال وإكبار، ويقول:  
«يا مثابةُ هواة الفنِّ! ويا مقصدَ رَوَّاد الجمال! ويا مجد الدين الإسلامي! لقد  
سمت بك أرض الأندلس، وتقَدَّست في أعين المسلمين، إنَّك فريدٌ في  
الفنِّ والجمال، لا يوجد لك نظير تحت السماء إلا في قلب المؤمن، أين لنا  
أولئك الرجال، هؤلاء الفرسان العرب، أصحاب الخلق العظيم،

وأصحاب الصدق واليقين، الذين برهنت حكومتهم على أنَّ حكومة أهل القلوب خدمةٌ وزهادة، وليست حكمًا ولا ملكًا، هؤلاء العرب المسلمون الذي كانوا مربى الشرق والغرب، وكانوا أصحابَ عقولٍ حصيفةٍ وبصيرة نافذة، يوم كانت أوربة تتسكع في الجهل المطبق، والظلام الحالك، والذين لا تزال في الشعب الإسباني.

□ والله درّه حين يقول: «إِنَّ كُلَّ مَأْثَرَةٍ وَكُلَّ إِنْتاجٍ، لَمْ تَذُبْ فِيهِ حَشَاشَةُ النَفْسِ نَاقِصٌ، وَجَدِيرٌ بِالْفَنَاءِ وَالزَّوَالِ السَّرِيعِ، وَكُلُّ رَنَةٍ أَوْ نَشِيدٍ لَمْ يَدَمْ لَهُ الْقَلْبُ، وَلَمْ تَتَأَلَّقْ بِهِ النَفْسُ قَبْلَ أَنْ يَصْدُرَ، ضَرْبٌ مِنَ الْعَبْثِ وَالتَّسْلِيَةِ، وَلَا مُسْتَقْبَلُ لَهُ فِي الْمَجْتَمَعِ وَعَالَمِ الْأَفْكَارِ».

**ويبكي رحيل علالة الهمم عن «أسبانيا» :**

□ فيقول في قصيدته «أسبانيا» التي كتبها في أسبانيا ساعة مغادرتها:  
صَوْتُ الْمَنَائِرِ فِي نَسِيمِكَ يَرْقُدُ وَصَدَاهُ فِي أَرْوَاحِنَا يَتَرَدَّدُ  
يَا تَوَهُّمَ الْحَرَمِ الشَّرِيفِ تَطَوَّفْتَ بِكَ رُكْعٌ مِنْ عَاكِفِينَ وَسُجَّدُ  
سِيْمَاكَ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ عَلَى الثَّرَى طَرَبٌ يَفُوحُ وَنَضْرَةٌ تَتَجَدَّدُ

~~~~~

تَحْكِي النُّجُومُ أَسِنَّةً لِرِمَاحِهِمْ بِإِزَائِهَا لَيْلٌ يَقُومُ وَيَقْعُدُ
مَلُؤُوا وَهَادَكَ بِالْخِيَامِ وَلَمْ تَزَلْ أَوْتَادُهَا بِنَسِيمِهِمْ تَأْوُدُ
إِنْ تَسْأَلِ الْحَسَنَاءُ عَنْ حُنَائِهِمْ فَتَخِيبُ يُنْصِفُهَا دَمِي الْمَتَوَرَّدُ
يَا طَالَمَا سُفِكَتْ هُنَاكَ دِمَاؤُنَا ظُلْمًا وَنَحْنُ الْمَشْفِقُونَ الْعُودُ

~~~~~

ما كان صقر قريش غيرَ موحدٍ عجباً أما في المسلمين موحدٌ  
 خمدت حقيقتنا وزال لهيبنا وبريق قرطبة الشريد مخلدٌ  
 ووقفت لا نومي خمدت ولا السرى أتكد الجرح الذي أتكد  
 عانيت مشهدهم وقلت وقيل لي سيان قول في العزاء ومشهد

﴿٣٨٥﴾

ستتهتك الأستار عن سينائنا وتباح أسرار لنا وتبدد  
 ويكون أول من يقوم بهتكها للناس أول مصلح يتحمّد<sup>(١)</sup>

﴿٣٨٥﴾

□ ويقول في قصيدة له على نهج أبيات عبد الرحمن الأول عد مجيئه إلى  
 الأندلس.. يقول:

|                                   |                                |
|-----------------------------------|--------------------------------|
| وأعجب ما في الكون غربه مثلنا      | وفي الشام من أمثالنا عدد الرمل |
| وما زلت في التطواف ألقى على المدى | زماناً غريب الوجه مختلف الشكل  |
| وليس لهذا البحر من ساحل يرى       | مضيت به عريان ممتشيقاً نصلي    |
| وما من حياة للذي أنف الردى        | وهل يقدح الزند الشرار من الوحل |
| إذا شام طرفي البرق زاد تألقاً     | وحن بذكر الشام للأعين النجل    |
| وما ضرنا ملك تركناه خلفنا         | فكل بلاد الله ملك ذوي العدل    |
| سنبني كما كنا بنينا لغيرنا        | وحاشا لأهل الجود توصم بالبخل   |
| إذا نضبت أجسادنا من دمائنا        | فمنزلنا ريان من غدق البذل      |



ستذكرنا الدنيا وتندبنا الورى  
يقال هنا صلت وضجت قلوبهم  
وتطلب من آثارنا كعبة الفضل  
هنا انتبذت أرواحها رسل النخل<sup>(١)</sup>

### دعاء عالي الهمة طارق بقلم «إقبال»:

□ في ديوانه «جناح جبريل» صور إقبال بأسلوبه الأدبي «دعاء» طارق ابن زياد عند خوضه المعركة لفتح الأندلس فقال: «قال طارق: اللهم! إن هؤلاء الفتيان الذين خرجوا جهاداً في سبيلك، وابتغاء مرضاتك، رجالاً غامضون مجهولون لا يعرف سرهم وحقيقتهم غيرك، لقد منحتهم طموحاً وعلو همة، لا يرضون معه إلا أن يكونوا سادة العالم، يحكمون الدنيا كلها بحكمك، ويُنفذون فيها أمرك، لا يعلوهم غيرك، أبطال مغاوير، تنفلق بهيبتهم البحار، وتنضوي لصولتهم الجبال، لقد ذاقوا لذة الإيمان والحب، حتى استغنوا بها عن العالم والمادة، وهانت عليهم الدنيا وزخارفها وشهواتها، وذلك شأن الحب إذا خالطت بشاشته القلوب، ما جاء بهم من بلادهم النائية إلا الحنين إلا الشهادة، التي هي وطر المؤمن العزيز، وهمم الوحيد، لا يفكرون في الغنائم ولا في فتح البلاد، ولا في بسط السيطرة والنفوذ على العباد.

إن العالم قد وقف على شفا حفرة من النار، لا يمنعه من التردّي في الهاوية إلا أن يبذل العرب دماءهم ونفوسهم بسخاء وشجاعة، إن العالم بحاجة إلى دم عربي زكي، فلا يروى غليله، ولا يشفى عليه إلا الدم العربي الطاهر، ها إن الأزهار والورود في الغابة في انتظار أن تسقى بهذا الدم القاني، فترفل في حُلته، وقد قدمنا لنزرع نفوسنا، ونريق دماءنا في

(١) «ديوان إقبال» (١/٤٨٤).

هذه الأرض النائية، لتخصب الإنسانية بعد جذب طويل، ويحل الربيع بعد انتظار شاق طال أمده.

لقد أكرمت يا رب رعاة الإبل وسكان الوبر - العرب - بنعم فريدة لم يشركهم فيها أحد، لقد أفردتهم بعلم جديد، وإيمان جديد، وشعار جديد، هو: أذان الصبح، فقد أفلست الأمم من العلم الصحيح، والإيمان القوي، والذوق الرفيع، والدعوة الصارخة السافرة إلى التوحيد، على حين غفلة من الناس، أما العرب، فقد فاجئوا العالم بصحة علمهم، وجدة إيمانهم، وسلامة ذوقهم، ودوي آذانهم في السكون المخيم على العالم، والظلام الحالك، لقد كانت الحياة فقدت لوعتها وحرارتها من قرون طويلة، وقد وجدتها من جديد في قلوبهم الفائضة بالإيمان والحنان، إنهم لا ينظرون إلى الموت كنهاية لهذه الحياة، وكتلف للنفس الإنسانية، إنهم يرون فيه فتحاً جديداً، وعيشاً جديداً.

أعد يا رب! إلى هذه الأمة المؤمنة الحميّة الإيمانية والغضبة المؤمنة، التي تجلّت في دعاء نوح عليه السلام، فقال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٢١) [نوح] حتى تصبح صاعقة على عالم الكفر والفساد، وأخلق فيها المطامح البعيدة، والعزائم القوية الشديدة، واقذف في قلوب الناس رعبتها، وهيبتها حتى تعمل نظراتها عمل السيوف»<sup>(١)</sup>.

□ ثم نظمها إقبال شعراً فقال:

هذي الكُماة عبادك الأخيار      حملوا عناء العالمين وساروا

(١) «ديوان إقبال» (١/ ٤٨٧ - ٤٨٨).

أَصْحَابُ سِرِّكَ وَالسِّيَادَةُ طَبْعُهُمْ  
فَعَلْتُ كَمُوسَى فِي الْبَحَارِ عَصِيَّتُهُمْ  
الْبَحْرُ حَبَّةُ خَرْدَلٍ فِي كَفِّهِمْ  
عَزَفُوا عَنِ الدَّارَيْنِ إِلَّا أَنَّهُمْ  
نَيْلُ الشَّهَادَةِ لِلْمَوْحِدِ مَطْمَحُ  
لَا سَبِيَّ غَانِيَةٍ وَسَلْبَ خَزَانَةٍ  
كُلُّ الْعِبَادِ عَلَى اخْتِلَافٍ عَرُوقِهِمْ  
تَرْجُو مِنْ الْعَرِيِّ لَوْنَ دِمَائِهِ  
رَبَّاهُ أَنْتَ بَعَثْتَ مِنْ صَحْرَائِهِمْ  
وَمَلَأْتَ صَدْرَ الصَّبْحِ مِنْ آهَاتِهِمْ  
طَوَتْ الْحَيَاةُ الدَّهْرَ تَنْشُدُ طُلُبَهُ  
وَبَرُوحُهُمْ عَثَرَتْ عَلَيْهَا بَعْدَمَا  
الْمَوْتُ لَيْسَ نِهَايَةً فِي عَيْنِهِمْ  
رَبَّاهُ! فَابْعَثْ مُسْلِمِينَ أَعَزَّةً  
لِتَغْيِرَاتِ الْعَصْرِ مِنْ ثَوْرَاتِهِ  
رَبَّاهُ! أَنْتَ هُوَ الْحَقِيقَةُ كُلُّهَا  
الدُّهْرُ مَلِكٌ يَدِيكَ لَيْسَ لِأَهْلِهِ

وَالنُّورُ فِي نَظَرَاتِهِمْ وَالنَّارُ  
وَتَرَا جَعْتُ لِحُطَّاهُمْ الْأَنْهَارُ  
وَالْعِشْقُ فِي أَرْوَاحِهِمْ إِغْصَارُ  
عَلَمٌ عَلَى الدَّارَيْنِ لَا يَنْهَارُ  
وَإِذَا تَقَحَّحَ فَالْجِرَاحُ غُبَارُ  
وَمَطَامَحُ الْهَمِّ الْكِبَارِ كِبَارُ  
تَرْجُو رَجَاءَ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ  
وَتَضِجُ لَيْلَ نَهَارٍ فِي الْبُسْتَانِ  
سَكَّانَهَا وَجَعَلْتَهُمْ أَفْذَاذَا  
وَجَعَلْتَ أَعْرَابِيَهُمْ أُسْتَاذَا  
عَزَّتْ وَطَلَبْتُهَا مَذَاقُ النَّارِ  
كَلَّتْ مِنَ التَّرْحَالِ وَالتَّسْيَارِ  
هُوَ لِلْبَصِيرَةِ بَابُهَا الْمَفْتُوحُ  
يَتَوَسَّلُونَ كَمَا تَوَسَّلَ نُوحُ  
وَهُمْ وَأَنْتَ الْفَرْدُ لَا تَتَغَيَّرُ  
وَالنَّاسُ مِنْهَا مُوسِرٌّ أَوْ مُعْسِرٌ  
إِلَّا ظَنُّونَ الْوَاهِمَ الْمُتَقَوِّلَ

يتنازعون على تفهيم عالم سكران من ماضٍ ومن مستقبل<sup>(١)</sup>

### عالي الهمّة:

عذبُ الكَلِمَاتِ خفيفُ الرُّوحِ رقيقُ القلبِ مُسَهِّدُهُ  
أبديُّ الحبِّ نقيُّ الحربِ مصونُ العِرضِ مَهْنَدُهُ  
وعلى يدهِ الله يدٌ بلطيفِ القُدرةِ تَعَضُّدُهُ  
العالمُ قَصْرُ خلافتِهِ وسِماءُ العالمِ مَعْبَدُهُ  
سِرُّ الكَوْنِ بنظرتهِ وعن الكَوْنِ تَجَرُّدُهُ  
وسرابُ العَصْرِ بنور الدِّينِ ونارُ الحبِّ يَبْدَدُهُ  
هو أَوَّلُ سرٍّ في الدنيا ورجاءُ الكونِ ومَقْصِدُهُ<sup>(٢)</sup>

### نصيحة:

□ قال نسرٌ عجوز لبازٍ فتى:

لا تقلْ أصلي وفصلي أبداً  
إنما الشَّاهين من يَحْرُقُه  
قسوةُ التَّدريبِ روحُ السُّودِ  
سترى قيمته يا ولدي!  
ما أرينا فرحة أمتع من  
فرحٍ والله لا يعدلُه  
قيمةُ الشَّاهين في أخلاقه  
دُمُه الشَّخصيُّ في أعماقه  
لا تضيِّعه سديّ هذا الكلام  
حين تنقُصُ على فرخ الحمام  
فرحة المنقُص من أفق السَّماء  
فرحٌ، حتى ولا سفكُ الدِّماء!

(١) «ديوان إقبال» (١/ ٤٨٩).

(٢) المصدر السابق (١/ ٤٧٩).



□ قال إقبال:

عظمة الشَّاهين وشوكتُهُ توجَدُ في طيرانِ الدَّرَّاجِ  
والصَّيَّادُ في حيرةِ شاهينٍ هذا أم درَّاج  
تلاطمتْ أفكارُ كلِّ قومٍ  
فاليومَ مُظْهَرٌ لَعْدِ الْقِيَامَةِ في الشَّرْقِ  
المَيِّتُ الذي كان في حاجةٍ إلى صُورِ إسرائِيلِ  
لمطالبِ الفطرة! (١)

□ وقال:

إذا اعتقدتَ أَنَّ هذا القلبَ قطرةٌ من دمٍ فهو كذلك  
فقلبُ الإنسانِ إنَّما هو - فقط - جذبةٌ عالية  
لا يُعجبه دورانُ القمرِ والنجومِ  
فهو الذي يَخْطُطُ سَحَرَهُ ومساءه  
لا يمكنُ أن يَبْرُدَ ذلك التُّرابُ الأصيلُ  
الذي تَكْمُنُ في ضميرِ ترابه نارُ چنار (٢)، (٣)  
«لو تأخذُ شرارةً من نارِ القلبِ  
فإنَّكَ تستطيعُ أن تجعلها شمسًا تحت الفَلَكِ» (٤)

(١) «ديوان إقبال» (١/٥٣٨).

(٢) چنار: شجرة ذات أوراق كثيرة، تشبه كف اليد، وتكون خضراء في الصيف،  
بينما تحمر جدًا في الخريف وتصبغ في لون النار الملتهبة خاصة في الأصل.

(٣) المصدر السابق (١/٥٣٨).

(٤) المصدر السابق (١/٥٣٩).

## لا حَدَّ لِلسَّمَوِّ:

جَسَّ الطَّيِّبُ بِقَلْبِي مِنْ أَكَابِدِهِ      فقال: ويحك ما تخفيه من طلب  
تَطْلُعَاتِكَ لَا طَاقَاتُ تَحْمِلُهَا      لكن (لَكَ الْحَقُّ) لَا تَيَاسُ مِنَ السَّبَبِ  
وَمَا يُسَمَّى صَفَاءَ الرُّوحِ أَعْرِفْهُ      وليس هذا الذي في قلبك اللَّجِبِ  
هَذَا الدَّمُ الْقِرْمِزِيُّ اللَّوْنِ (نَضْرَتُهُ)      تدلُّ أَنَّكَ لَمْ تَشْرَبْ شَرَابَ غَيْبِي

يا ابن الإسلام! أين أنت من علو الهمة؟!

أَيُّهَا الْغَافِلُ عَمَّا حُمِّلَا      أنت في الكونين أعلى منزلا  
افْتَحْنِ عَيْنَا وَأُذُنَا وَفَمَا      تُبْصِرِ الْحَقَّ طَرِيقًا مُعْلَمَا

الخوف، والحزن، واليأس أمهات الخبائب محبطات للهمة:

عُدَّةُ الْمَوْتِ قُنُوطٌ مُحْبَبَةٌ      والحياة الحقُّ أن «لا تقنطوا»<sup>(١)</sup>  
إِنَّمَا الْعَيْشُ رَجَاءٌ يُوَصِّلُ      فقنوطُ الحيِّ سَمٌّ يَقْتُلُ<sup>(٢)</sup>  
يَأْسُكَ الْقَبْرِ إِلَيْهِ تَرْجِعُ      إن تكنَ أَلَوْنَدَ فهو المِصْرَعُ<sup>(٣)</sup>  
رُبَّتِ الْخَيْبَةُ فِي أَكْنَفِهِ      ونما العجز على الطافه<sup>(٤)</sup>  
أَهْ مِنْ نَوْمِ الْحَيَاةِ الْمُخْدِرِ      إِنَّهُ آيَةٌ ضَعْفِ الْعَنْصَرِ

(١) مقتبس من القرآن ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾.

(٢) رجاء يوصل: دائم لا ينقطع.

(٣) أَلَوْنَد: جبل عال مشرف على مدينة همذان يعني: إن تكن كجبل أَلَوْنَد في اليأس مصرعك.

(٤) الضمير اليأس في أكفانه تشب الخيبة، وبفضله ينمو العجز.

كَحُلِّهِ فِي الْعَيْنِ يُعْمِي الْبَصْرَا  
نَفْسٌ مِنْهُ سَمُومٌ لِلْحَيَاةِ  
وَهُوَ لِلْغَمِّ حَلِيفٌ وَاصِلُ  
يَا سَجِينَ الْغَمِّ أَبْصِرْ وَاسْمَعْ  
ذَلِكَ النَّصِاحِ سَرَى فِي قَلْبِهِ  
إِنَّمَا الْمُسْلِمُ مِثْلُ الْكَوْكَبِ  
حَرَّرَ النَّفْسَ مِنَ الْغَمِّ وَدَعَا  
قُوَّةَ الْإِيمَانِ تُحْيِي فَاَعْلَمَنْ  
قَلْبُهُ مِنْ «لَا تَخَفْ» قَلْبٌ سَلِيمٌ  
خَوْفٌ غَيْرِ اللَّهِ قَتْلُ الْعَمَلِ  
وَبِهِ الْعِزُّ يَخَافُ الْغَيْرَا  
مَنْ نَمَا ذَا الْبَذْرِ يَوْمًا فِي ثَرَاهُ  
فَهُوَ فَسَلٌ وَهُوَ شَادٍ يَعْرِفُ  
وَيَرُدُّ الصُّبْحَ لَيْلًا أَكْدَرَا<sup>(١)</sup>  
كُلُّ يَنْبُوعٍ بِهِ جَفَّ ثَرَاهُ  
إِنَّمَا الْغَمُّ لِحْيٍ قَاتِلُ  
مَنْ رَسُولَ اللَّهِ «لَا تَحْزَنْ» وَعِي<sup>(٢)</sup>  
فَعْدَا الصَّدِيقُ صَدِّيقًا بِهِ  
بِاسْمٍ فِي سَعْيِهِ وَالِدَّابِ  
إِنْ عَرَفْتَ اللَّهَ، أَغْلَالَ الطَّمَعُ  
وَرَدَّ «لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» فَاقْرَأْ<sup>(٣)</sup>  
حِينَ يَمْضِي نَحْوَ فِرْعَوْنَ كَلِيمٍ<sup>(٤)</sup>  
وَهُوَ لِلْأَحْيَاءِ قَطْعُ السُّبُلِ  
وَتَرَى الْمَقْدَامَ مِنْهُ حَذِرَا  
حَرَمْتُهُ مِنْ تَجَلِّيْهَا الْحَيَاةِ  
يَدُ شُلَّتْ وَقَلْبٌ يَرْجُفُ

(١) الكحل يجعلو البصر ولكن كحل اليأس يعمي ويجعل النور ظلامًا.

(٢) إشارة إلى ما حكى القرآن الكريم من قول الرسول لأبي بكر في الغار ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ .

(٣) إشارة إلى الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٢) .

(٤) إشارة إلى قصة موسى عليه السلام وفرعون وقول الخالق عن موسى عليه السلام ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (٦٨) وفرعون هنا نكرة ولهذا لحقه التنوين.

يسْرِقُ الرَّجُلُ قُوَى تَسْيَارِهَا      يسلبُ الرَّأْسُ قُوَى أَفْكَارِهَا  
 إِنْ تَجَلَّى لَعْدُوٌّ خَوْفُكُمَا      هَانَ كَالْوَرْدِ، عَلَيْهِ قُطْفُكَا  
 سَيْفُهُ يَزْدَادُ فَتْكَاً فِي الْيَدِ      عَيْنُهُ فِيكَ حَسَامٌ لَا يَدِي (١)  
 غَلْنَا الْخَوْفُ، وَكَمْ فِي بَحْرِنَا      مِنْ عُبَابٍ مَائِجٍ فِي دَهْرِنَا  
 إِنْ أَبَى النِّعْمَةُ يَوْمًا مِزْهَرَكَ      فَمِنْ الْخَوْفِ تَنْدَى وَتَرَكَ  
 فَاعْرُكِ الْأُذُنَ يَثُرُ فِيهِ الْحَدَاءُ      وَيَهْزُ اللَّحْنَ آفَاقَ السَّمَاءِ  
 كُلُّ شَرٍّ فِي فَوَادٍ يُضْمَرُ      أَصْلُهُ الْخَوْفُ، إِذَا مَا تُبْصَرُ  
 مِنْ دِيَارِ الْمَوْتِ عَيْنٌ قَدِ مَا      مِثْلُ مِيمِ الْمَوْتِ قَلْبٌ أَظْلَمَا (٢)  
 عَيْنُهُ تَلْبِيسُ آثَارِ الْحَيَاةِ      أَذْنُهُ تَدْلِيسُ أَخْبَارِ الْحَيَاةِ (٣)  
 يُزْهَرُ الْخَبُّ بِهِ وَالْمَلِيقُ      وَنِفَاقُ الْقَلْبِ مِنْهُ يَوْرُقُ  
 ثَوْبُهُ لِلزُّورِ سِتْرٌ وَالرَّيْبُ      حِجْرُهُ الْفِتْنَةُ فِيهِ وَالْحَرْبُ  
 حُرْمَ الْخَوْفِ طُمُوحُ الْهَمَّةِ      فَهُوَ خَدْنٌ لِحَلِيفِ الذَّلَّةِ  
 كُلُّ مَنْ يَفْقَدُ سَرَ الْمِصْطَفَى      يَجِدُ الْإِشْرَاكَ فِي الْخَوْفِ اخْتَفَى

(١) لَا يُؤْدِي دِيَةَ مَنْ قَتَلَهُ.

(٢) عَيْنٌ: جاسوس. والميم في خط الرقعة والخط الفارسي مصمتة. فجعل الشاعر الخوف مظلم القلب مثل ميم الموت. وفي الأصل ميم مرك. ومرك: موت. فالميم في الأصل والترجمة.

(٣) تشوه مظاهر الحياة عينه. وتحرف أخبار الحياة أذنه.



أَحَبُّ.. وَأَحْتَقَرُ<sup>(١)</sup>:

|                                                |                                                 |
|------------------------------------------------|-------------------------------------------------|
| أَحَبُّ الْجِبَالِ الشَّامَخَاتِ كَأَنَّهَا    | عَلَى جَبْهَةِ الدُّنْيَا تَصُولُ عَوَاتِيَا    |
| تَضَاخَكُ مِنْ عَصْفِ الرِّيحِ وَزَارَهَا      | وَتَحْتَضِنُ السَّيْلَ الْحَرُونَ الْمُعَادِيَا |
| وَتَلْهَوُ عَنِ الزَّلْزَالِ وَهُوَ مُزَجَجَرُ | يَضْجُ بِبَطْنِ الْأَرْضِ غَضْبَانَ وَارِيَا    |
| وَأَحْتَقَرُ الْكُثْبَانَ تُرْعَشُهَا الصَّبَا | وَيَفْزَعُهَا الْإِعْصَارُ إِنْ مَرَّ لَاهِيَا  |
| وَتَحْمِلُهَا الْأَرْيَاحُ أَنِي تَوَجَّهَتْ   | الْأَعْيَبَ فِي أَسْفَارِهَا وَأَلَاهِيَا       |

~~~~~

وَإِنِّي لِأَهْوَى السَّيْلَ يَنْحَطُ مَزِيدًا	وَيَدْفُقُ جَيَّاشًا وَيَهْدِرُ صَاخِبَا
عَتِيًّا عَلَى السَّدِّ الْمَنِيعِ يَدُكُّهُ	وَيَحْمِلُهُ نَحْوَ السُّهُولِ خَرَابِيَا
يَمُرُّ عَلَى الْعُشْبِ الضَّعِيفِ مُسَاحِمًا	وَيَلْتَقِفُ الدَّوْحَ الْعَنِيدَ الْمَغَالِبَا
وَتَحْقِرُ عَيْنِي جَدُولًا فِي خَمِيلَةٍ	يَحْوِلُ طِفْلُ الْحَيِّ مَجْرَاهُ لَاعِبَا
يَكْدُرُهُ حَتَّى النَّسِيمُ مَلَاظِفًا	وَيُفْزِعُهُ حَتَّى فَمُ الطِّفْلِ شَارِبَا
أَحَبُّ الْعُقَابِ الْجَوْنَ يَخْتَالُ فِي الذَّرَا	وَيَكْبُ مَتْنُ الْجَوِّ جَذْلَانِ بَاسِمَا
وَيَخْتَرِقُ الرِّيحَ الْعَصُوفَ لِقَصْدِهِ	وَلَوْ حَطَّمَتْ مِنْ جَانَحِيهِ الْقَوَادِمَا
يَمُوتُ وَلَا يَشْكُو الْجِرَاحَ وَلَا تَرَى	لَهُ أَكْلًا بَيْنَ الْأَنَامِ وَهَاضِمًا
وَأَحْتَقِرُ الْوَرَقَاءَ تَأْلَفُ سَجْنَهَا	وَتَبْكِي وَمَا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ رَاحِمًا

(١) للشاعر الأستاذ أمجد الطرابلسي وزير التعليم السوري السابق - مجلة الأزهر - جمادى الأولى ١٤٢٧هـ (٧٨٠ - ٧٨١).

وهل غيرُ ضَعْفِ الورقِ سوَّغَ حَبْسَهَا وصَيْرَ شَدَوًا نوحَهَا والمآتما

﴿٣٨٣﴾ ﴿٣٨٣﴾ ﴿٣٨٣﴾

وإني لأهوى نحلة تدهمُ الربا فتنهّلُ من ثغرِ الزهورِ رحيقَهَا
ترشّفُ من كأسِ الأفاحي صبوَحَهَا ومن مُحَرَّةِ الوردِ النَّديِّ غبوقَهَا
حصانُ تروغُ العاشقينَ بوخزها إذا ما تَمَنَّوْا لو يذوقونَ ريقَهَا
وتحفّرُ عيني نملةً تألفُ الولي وتَمَلُّ من بَخْسِ الفُتاتِ خروقَهَا
تدبُّ على الأقدامِ هُونًا وذلةً وتسلكُ من تحتِ النعالِ طريقَهَا

﴿٣٨٣﴾ ﴿٣٨٣﴾ ﴿٣٨٣﴾

أحبّ شموخَ الدّوحِ في ربواته يُجابه هَوْلَ العاصفاتِ ويُبْتُتُ
أبيًا على حربِ الأعاصيرِ ظافرا تَكُرُّ جموعًا حولَهُ فَتَشَتَّتْ
وإنْ خَرَّ في الميدانِ بعد نضالها تراها عليه نائحاتُ تُصَوّتُ
وأحتقرُ الأعشابَ تحني رءوسَهَا فتسَلِّمُ من رَيْبِ المنونِ وتُفْلِتُ
تدورُ معَ الإِصْصارِ حيثُ يُديرها ويلطمُها هونا فترضى وتسكُتُ

﴿٣٨٣﴾ ﴿٣٨٣﴾ ﴿٣٨٣﴾

وإني لأهوى الليث يستعذبُ الطوى ويأنفُ أن يُدنى إلى جيفةِ يدا
يسيرُ أشمَّ الأنفِ مستكبرا الخطا فترتجفُ البيداءُ إن راحَ أو غدا
ويحبُّه وحشُ البیدِ في حُرٍّ وجهها ولا يَدْرِي أعداءه مُتَصَيِّدا
وتحقّرُ عيني ثعلبانًا مخادعا جبانًا خلعِ القلبِ يغدرُ بالعدا

يُصِيبُ فُضَالَاتِ السَّبَاعِ وَيَنْشِي
لِيَشْكُرَ رِزَاقَ الْعَبِيدِ وَيَحْمَدَا

﴿٣٨٤﴾

أَحَبُّ الْفَتَى يَفِرُ الْفَلَاةَ مُهَجِّرًا فَلَا يَشْتَكِي أَيْنًا وَلَا يَتَظَلَّمُ
إِذَا لَذَعَتْهُ الشَّمْسُ سَدَدَ وَجْهَهُ إِلَيْهَا حديدَ الطَّرْفِ لَا يَتَبَرَّمُ
وَيَمْشِي عَلَى الرَّمْضَاءِ مُتَتِّدًا الْخُطَا جَلِيدًا، وَنِيرَانُ الرِّمَالِ تَضَرَّمُ
وَأَحْقَرُ نَكْسًا يَسْتَظِلُّ بَنِيرَهُ وَيَخْفِضُ رَأْسًا وَهُوَ شَاكٍ يَدْمِمْ
تَسَاوَرُهُ الْأَشْبَاحُ فِي الْقَفْرِ رَهْبَةً فَيَرْعَشُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَالطَّرْفُ وَالْفَمُ

﴿٣٨٤﴾

أَحَبُّ الْفَتَى وَالْغُلُّ يَثْقُلُ عُنُقَهُ وَسَيْفُ الْأَعَادِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُشْهَرُ
يَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَنْكُرُ الْأَذَى وَيَضْحَكُ مِنْ بَطْشِ الطُّغَاةِ وَيَسْخَرُ
وَيَشْمَخُ بِالْأَغْلَالِ رَأْسًا وَإِنْ غَدَتْ تَحْزُومُنْ أَنْيَابُهَا الدَّمَ يَقْطُرُ
وَأَحْتَقِرُ الْأَحْرَارُ يَحْنُونَ رَأْسَهُمْ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ سَيِّدٌ أَوْ مُسَيِّطِرُ
إِذَا كَانَ قَلْبُ الْمَرْءِ عَبْدًا وَرَأْيُهُ فَقُلْ لِي - هُدَيْتَ الْخَيْرَ - مَاذَا تُحَرَّرُ

﴿٣٨٤﴾

يا ابن الإسلام.. أنت يوسفُ أعظم الأحلام.. أنت على طريق سلفك
العظام.. ووارث الجنة.. والناظر في يوم المزيدي إلى إلهك رب الأنام:

يا سليل المجد أين أنت من آبائك العظام وسلفك الكرام:
يا سليل المجد ماذا غَيْرُكَ؟
أنت للمجد وهذا المجد لك
كيف تغفويا فتى التوحيد هل
هَيَّا الأعداء في الدرب الشَّرك
أُمْتَى قَدْ عَلَّقَتْ فِيكَ الْمُنَى
فاسْتَفِقْ وانْهَضْ وغادِرْ مَضْجَعُكَ؟
عُدْ إلى الرَّحْمَنِ في طُهرِ مَجْد
مَرْكَبِ النَّصْرِ إلى العَلْيَا مَعَكَ
وتَرَى الأبطال آساد الشَّرى
تَشْتَهِي يَوْمَ الْفِدا أَنْ تَتْبَعَكَ

صُمْتَ أَذُنُ الدُّنْيَا إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لَنَا فَنَحْنُ مَلَكْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا الْقُرُونَا:
مَلَكْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا الْقُرُونَا
وَأَخْضَعَهَا جُدُّ خَالِدُونَا
وَسَطَرْنَا صَحَائِفَ مِنْ ضِيَاءِ
فَمَا نَسِيَ الزَّمَانُ وَلَا نَسِينَا
كَحَمَلْنَاهَا سُيُوفًا لَامِعَاتِ
غَدَاةَ الرُّوعِ تَأْبَى أَنْ تَلِينَا
إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْأَغْمَادِ يَوْمًا
رَأَيْتَ الْهَوْلَ وَالْفَتْحَ الْمُبِينَا
وَكُنَّا حِينَ يَرْمِينَا أَنْاسُ
نُؤَدِّبُهُمْ أَبَاةَ قَادِرِينَا
وَكُنَّا حِينَ يَأْخُذُنَا وَلِيٌّ
بَطْنِيَّانِ نَدُوسُ لَهُ الْجَبِينَا
تَفِيضُ قُلُوبُنَا بِالْهَدْيِ بِأَسَا
فَمَا نُغْضِي عَنْ الظُّلْمِ الْجُفُونَا
وَمَا فَتِيءَ الزَّمَانُ يَدُورُ حَتَّى
مَضَى بِالْمَجْدِ قَوْمٌ آخِرُونَا
وَأَصْبَحَ لَا يُرَى فِي الرُّكْبِ قَوْمِي
وَقَدْ عَاشُوا أَيْمَتَهُ سَنِينَا

وَالْمَنِيِّ وَالْمِ كُلِّ حُرٍّ
تُرَى هَلْ يَرْجِعُ الْمَاضِي فَإِنِّي
بَيْنَنَا حِقْبَةٌ فِي الْأَرْضِ مُلْكًا
شَبَابٌ ذَلَّلُوا سَبَلَ الْمَعَالِي
تَعَهَّدَهُمْ فَأَنْبَتَهُمْ نَبَاتًا
هُمْ وَرَدُّوا الْحِيَاضَ مَبَارَكَاتٍ
وَإِنْ جَنَّ الْمَسَاءَ فَلَا تَرَاهُمْ
شَبَابٌ لَمْ تُحَطِّمْهُ اللَّيَالِي
وَلَمْ تَشْهَدْهُمْ الْأَقْداحُ يَوْمًا
وَمَا عَرَفُوا الْأَغَانِي مَائِعَاتٍ
وَقَدْ دَانُوا بِأَعْظَمِهِمْ نِضَالًا
فَيَتَّحِدُونَ أَخْلَاقًا عِزَابًا
فَمَا عَرَفَ الْخَلَاعَةَ فِي بَنَاتٍ
وَلَمْ يَتَشَدَّقُوا بِقَشُورِ عِلْمٍ
وَلَمْ يَتَبَجَّحُوا فِي كُلِّ أَمْرٍ
كَذَلِكَ أَخْرَجَ الْإِسْلَامُ قَوْمِي
وَعَلَّمَهُ الْكِرَامَةَ كَيْفَ تُبْنَى

سُؤَالَ الدَّهْرِ أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ؟
أَذُوبٌ لِكَذَلِكَ الْمَاضِي حَنِينًا
يُدْعِمُهُ شَبَابٌ طَامِحُونَ
وَمَا عَرَفُوا سِوَى الْإِسْلَامِ دِينًا
كَرِيمًا طَابَ فِي الدُّنْيَا غُصُونًا
يَذْكُونَ الْمَعَاوِلَ وَالْحُصُونَا
مِنَ الْإِشْفَاقِ إِلَّا سَاجِدِينَ
وَلَمْ يُسَلِّمْ إِلَى الْخَضَمِ الْعَرِينَا
وَقَدْ مَلَأُوا نَوَادِيهِمْ مَجُونَا
وَلَكِنَّ الْعُلَا صِغْتَ لُحُونَا
وَعِلْمًا لَا بِأَجْرَتِهِمْ عُيُونَا
وَيَا تُلْفُونَ مَجْتَمَعًا رَزِينَا
وَلَا عَرَفَ التَّخَنُّتَ فِي بَنِينَا
وَلَمْ يَتَقَلَّبُوا فِي الْمَلْحَدِينَا
خَطِيرٍ كَيْ يَقَالَ مُثَقَّفُونَا
شَبَابًا مُخْلِصًا حُرًّا أَمِينَا
فَيَأْبَى أَنْ يُقَيَّدَ أَوْ يَهُونَا

دَعُونِي مِنْ أَمَانٍ كاذِبَاتٍ فَلَمْ أَجِدِ الْمُنَى إِلَّا ظُنُونًا
 وهَاتُوا لِي مِنَ الْإِيمَانِ نُورًا وَقَوُّوا بَيْنَ جَنْبَيَّ الْيَقِينَا
 أُمْدُ يَدَيَّ فَانْتَزِعْ الرِّوَايَ وَأَبْنِ الْمَجْدَ مُوتَلِقًا مَكِينًا^(١)

«رأيت البارحة شيخًا يدور حول المدينة، وقد حمل مشعلا، كأنه يبحث عن شيء. قلت له: يا سيدي! تبحث عن ماذا؟ قال: قد مللتُ معاشرَةَ السُّبَاعِ والدُّوَابِ، وَضِقْتُ بِهَا ذُرْعًا، وخرجتُ أبحثُ عن إنسانٍ في هذا العالم؛ لقد ضاق صدري من هؤلاء الكَسَالَى والأَقْرَامِ، الذين أجدهم حولي، فخرجتُ أبحثُ عن عملاقٍ من الرِّجَالِ وبطلٍ من الأبطال، يملأ عيني برجولته وشخصيَّته ويروِّح نفسي.

قلت له: لقد غرَّتك نفسك يا هذا! فخرجت تقتنص العنقاء، بالله لا تُتعب نفسك، وارجع أدراجك، فقد أجهدتُ نفسي وأنضيتُ ركابي، ونقبتُ في البلاد، فلم أرَ لهذا الكائن عيْنًا ولا أثرًا. فقال الشيخ: إليك عني أيها الرجل! فأحبُّ شيءٍ إلى نفسي أعزُّه وجودًا وأبعده منالًا»^(٢).

حاجة العالم إلى الإنسان الكامل عالي الهممة أشدُّ اليوم من حاجته إلى القارَّات الجديدة والبحار المجهولة، وأجل خطرًا، وأعظم قدرًا من أي شيءٍ سواه، فقد اجتمعت فيه من معاني الإسلام القوة والحياة والجمال والكمال فهو الضَّالة المنشودة والصورة الكاملة للإنسانية إن المسلم عالي الهممة المثالي يمتاز بين أهل الشك والظنِّ بإيمانه ويقينه، وبين أهل الحبن

(١) ديوان هاشم الرفاعي «الأعمال الكاملة» (ص ١٩٦ - ١٩٧).

(٢) «روائع إقبال» لأبي الحسن الندوي (ص ٧٣).

والخوف بشجاعته وقوته الروحية، وبين عبّاد الرجال والأموال والأصنام والملوك بتوحيده الخالص، وبين عبّاد الأوطان والألوان والشعوب بآفائياته وإنسانيته، وبين عبّاد الشهوات والأهواء والمنافع بتجرّده من الشهوات وتمرّده على موازين المجتمع الزائفة، وقيم الأشياء الحقيرة، وبين أهل الأثرة والأنانية بزهده وإيثاره وكبر نفسه؛ يعيش برسالته ولرسالته. ذلك المسلم الحق الذي مهما اختلفت الأوضاع وتطوّرت الحياة لا يزال الحقيقة الثابتة التي لا تتغيّر ولا تتحوّل، وأمّا ما عداه فزبدٌ يذهب جفاءً، ذلك المسلم هو كالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، أمّا ما عداه فشجرة اجْتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قرار.

«إنك أيها المسلم عالي الهمة في العالم وحدك، وما عداك سرابٌ خادع ودرهم زائف. إن إيمان المسلم هو نقطة دائرة الحق، وكل ما عداه في هذا العالم المادي وهُمٌّ وطِلْسَمٌ ومجاز».

إن حاجة الكون والبشرية إلى المسلم عالي الهمة ليست بأقل من حاجتهما إلى الماء والهواء والنور، فمعاني الحياة وحقائقها مرتبطة بالغايات والأرواح والإيمان والأخلاق، التي تتكفّل رسالات الأنبياء بشرحها وبيانها، ويتكفّل المسلم عالي الهمة بإعلانها والقيام بها والجهاد في سبيلها، فلولاها هو لضاعت الغايات والرسالات وأصبحت سرّاً مكتوماً.

إذن فمركزه في العالم، وبقاؤه كبقاء الشمس والكواكب النيرة، تنقرض الأجيال والأمم، وتحوّل الأنهار مجراها، وهو قائم لا يزول ولا يحول.

لا يُمكن أن ينقرض المسلم من العالم؛ لأن وجوده رمزٌ لرسالات الأنبياء، وإنّ أذانه إعلانٌ للحقيقة التي جاء بها إبراهيم وموسى وعيسى

ومحمد ﷺ: «المسلم رسالةُ الله الأخيرة، فلا يعترها النسخُ والتبديل» وهو الحاضن للأمانة الخالدة، والرسالة الخالدة، والذي يعيش لغاية خالدة. إن المسلم موج من أمواج بحر الإسلام الخضم وتلاشى في وجوده، والبحر لا يتغير؛ فالبحر امتداد دائم، وتسلسل قائم لأجزاء متغيرة كبحر الحياة، وبحر الوجود تبدل أمواجه - وهي أفراد البشر - ولا يتبدل كيانه.

□ ويقول في قصيدة أردية تكاد تسيل رقة وعذوبة: «لقد هبت علي نفحة منعشة من نسيم السحر في الصباح الباكر فناجتني، وقالت لي: إن الذي عرف نفسه وعرف قيمته ومركزه لا يليق به إلا عروش الملوك وأسرّة السلاطين، إنه لا حياة لك ولا قوام، ولا شرف، ولا كرامة إلا بهذه «المعرفة»، فإذا ملكتها ملكت العالم، وإذا فقدتها، أصبحت من سقط المتاع، إنه يتربى في مدرسة شعري وأدبي، شباب لا يملكون درهماً ولا ديناراً، ولكنهم يملكون صولة السلاطين، ويحسنون آداب الملوك، إن لك الخيار، فاختر ما شئت، ولكنني بدوري، لم يعجبني الفرار من الحياة، والعكوف في الزوايا والخلوات.

لقد هياك الله - أيها الشاب المسلم - لاقتناص «هُمَا»^(١)، وما هذه الطيور والأسماك التي تملأ العالم إلا لتتمرّن عليها في بدء أمرك، ويتلهى بها غيرك. وما نُطْقك بالشهادتين - أيها المسلم - سواء أكنت عربياً أو أعجمياً، إلا حديثاً غريباً، حتى يشهد بها قلبك»^(٢).

(١) طائر أسطوري في الأدب الفارسي والأردني. يضرب به المثل في اليمن والسعادة، يقال: إنه ما أظل إنساناً، وما طار فوق رأس إنسان إلا وكان ملكاً في يوم من الأيام.

(٢) «بال جبريل» (٦٧ - ٦٨).

□ ويقول في قصيدة خفيفة الوزن، قصيرة البحر، سهلة اللفظ، كأنها قطعة من نثر، أو حديث من أحاديث الناس: «إنَّ كُلَّ ما في العالم من الظواهر الكونية، أو الأجرام الفلكية، راحل زائل، وغائب آفل، أنت - أيها الإنسان المسلم - بطل المعركة، وقائد الجيش، وكلُّ ما حولك من سافل وعالٍ، ورخيص وغالٍ، من جنودك وأتباعك.

أسفًا لك، أيها الرجل! لم تقدّر نفسك، ولم تحسّب لها حسابًا، ما أشدَّ جهلك، وما أضيقَ نظرك! إلى متى تجري وراء الدنيا الذليلة، وتعبدّها وتخضع لها؟ إما أن ترفضها رفضًا باتًا، وتزهّد فيها وتبتّل، وإما أن تملك ناصيتها وتسودّ وتحكم، لا منزلةً بين المنزلتين، ولا توسّط بين النهايتين».

□ وهذا قليلٌ من كثير جدًّا، تطفح به كتبه، ودواوين شعره، وفي هذا بلاغٌ للشباب المسلمين الذين خضعوا لنظام التربية الحديثة، والفلسفات المادية، التي حجبت عنهم شخصيتهم، وآفاق عالم الروح والقلب، وأعماق النفس البشرية، ومرامي المؤمن القوي الطموح، ولم تصوّر العالم إلا سوقَ تجارة أو مركز إنتاج، أو حانوت خمر، أو بيت مقامرة، أو مكان تنافس للقيادة، وصراع في مجال الاقتصاد والسياسة، ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ﴾.

خُلِقَ الْعَالَمُ لِعَالِي الْهَمَّةِ:

□ رحم الله إقبال القائل: «إنَّ الْعَالَمَ تَرَاثٌ لِلْمُؤْمِنِ الْمَجَاهِدِ، لا يشاركه فيه أحدٌ، ولا أعدُّ مؤمنًا كاملاً من لا يعتقد أن العالم خُلِقَ له».

نعم.. خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَّكَ، وخالقك له، فلا تنشغل بما خلقه لك عمّا خالقك له.

وله مقام الإمامة والتوجيه :

إن المسلم لم يُخْلَق ليندفع مع التيار، وليس سير الركب البشري حيث اتجه وسار؛ بل خُلِق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية، ويفرض على البشرية اتجاهه، ويُملي عليها إرادته؛ لأنه صاحب الرسالة، وصاحب العلم واليقين؛ ولأنه المسؤول عن هذا العالم وسيره واتجاهاته؛ فليس مقامه مقام التقليد والاتباع، إن مقامه مقام الإمامة والقيادة، ومقام الإرشاد والتوجيه، ومقام الأمر الناهي، إذا تنكر له الزمان، وعصاه المجتمع وانحرف عن الجادة، لم يكن له أن يستسلم ويخضع، ويضع أوزاره، ويسالم الزمان، بل عليه أن يثور عليه وينازله، ويظل في صراع معه وعراك، حتى يقضي الله في أمره.

□ يقول في بيت: «يقول من لا خلاق له: دُر مع الدهر حيث دار، وإذا لم يسالمك الزمان فسالمه؛ وأنا أقول إذا لم يُسالمك الزمان، فصارعُه وحاربه، حتى يفني إلى أمر الله».

ويرى أن المؤمنَ غيرَ مأذون بمجاراة الأوضاع؛ بل هو مكلف بمصادمة الأوضاع الفاسدة، يردُّ الأمر إلى نصابه، وقيمُ سالفه الدهر الغشوم، وقيمُ العوج، ويُصلح الفاسد، وإن كلفه ذلك عملية الهدم والنقض، والعملية الجراحية؛ فإن كل ذلك في سبيل البناء والعمارة والإصلاح.

□ يقول في بيت: «على المسلم أن يربِّي في نفسه الروح، وينشيء في هيكله الحياة، ثم يحرق هذا العالم الفاسد بحرارة إيمانه ووهج حياته، وينشيء عالمًا جديدًا».

عالي الهمة :

هو مؤذّنُ الفجر في الليل البهيم، وإنَّ أذانه لا يزال صيحةً تدوّي في هدوء الليل وسكون الموت، فيُعيد إلى هذا العالم النائم الناعس المتعب حياته ونشاطه، ويؤذّن بطلوع الصبح الصادق، وانصرام الليل الغاسق.

وعلى هذا الأذان الصارخ والنداء العالي، الذي ارتفع من جبل «أبو قبيس» قبل ثلاثة عشر قرناً، استيقظ هذا الكون بعد السبات العميق، الذي غطّ فيه خمسة قرون وأكثر؛ وكان نفخة صُور للإنسانية الميتة والعالم المحتضر، وهو الكفيل الآن لإيقاظ الإنسانية، وإحياء الضمير البشري.

يقول في بيت: «إن المؤمن إذا نادى الآفاق بأذانه، أشرق العالم واستيقظ الكون».

ويقول في قصيدة: «لست أعلم بالتأكيد مصدرَ هذا الصبح، الذي يطلع على هذا العالم كلَّ يوم، ولست أعلم سرّه؛ ولكني أعلم أن السّحر الذي يهتّز له هذا العالم المظلم ويولّي به ليل الإنسانية الحالك، إنما ينشأ بأذان المؤمن الصادق»^(١).

إن قوة عالي الهمة خارقة للعادة، مُحيرة للعقدة، معجزة للبشر؛ لأنها مُستمدّة من رسالته وإيمانه، فهو أداةٌ للقدرة الإلهية، وقوةٌ قاهرة، لا تصدّها الجبال، ولا تقف في سبيلها البحار، «إن يد المؤمن أداة القدرة الإلهية، فهي غلابة، حلالة للعقد والمشكلات، فتّاحةٌ للأبواب المقفلة، لبقة صنّاع حاذقة. إن المؤمن جسمه من تراب، فطرته من نور؛ عبدٌ متخلّق بأخلاق مولاه، قلبه غني عن العالمين».

(١) «روائع إقبال» (ص ٨٣ - ٨٤).

لم يزل العالم يعوزه لوعة ذلك القلب.

قد هزئ المسلمون المؤمنون في عصرهم الأول من الجبال والبحار،
وشقوا طريقهم غير محتفلين بما يعترضهم من أشواكٍ وعقبات.

عالي الهمة:

يجمعُ بين التسامح، ورحابة الصدود، وكثرة الصفح، والشدة في
التمسك بالدين، والغضب للحق، والثورة على الباطل، وشدة شكيمة
إذا أبى، ولا يكون المثل الكامل لدينه، والصورة الصادقة للإسلام حتى
يجمع بين هذه الأخلاق المتنوعة، فيجمع بين الشدة واللين والغضب
والرحمة، والصلابة والمرونة، والعفة والنزاهة، ويكون في ذلك آية من
آيات الله، ومعجزة من معجزات الرسول ﷺ.

«إنه الميزان العادل، والقسطاس المستقيم به يُعلم رضا الله وسخطه،
وبه يُعرف الحسنُ من القبيح، فما راق في نظره، فهو حسن، وما استقبحه
فهو طائش، وفي عزائمه تتجلى إرادة الله.

وهو القرآنُ الناطق، وهو الدين يسعى على قدميه. ثم عن حياته
متوافقة متشابهة كالطبيعة، فالصبح يطلع كل يوم، والليل يتبع النهار، لا
تخلف فيه، ولا تناقض. وهو صاحبُ معانٍ كثيرة، ونعمةٍ واحدة، فهو
كسورة «الرَّحْمَن» في القرآن، تتجدد معانيه وتكرر فيه آية ﴿فَيَأْتِيءُ الْآءَ
رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (١٦).

□ وقد صدق الشاعر، فالمسلم لم يزل يُتحف كلَّ عصر بعلومه
وتوجيهاته، ويُنير ظلمات كل عصر بنوره وضيائه، ويضربُ على وتر
واحد، ويكرّر رسالة الأنبياء، ويقول لكل جيل: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ

مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿ [الأعراف: ٦٥]، فهو كالصبح جديد وقديم، فهو في جدته ليس أجَدُّ منه، وهو في قدمه ليس شيءٌ أقدم منه؛ هو قديمٌ لكنه يتجدد به العالم، ويتجدد به الكائنات، وتتعش به القوى، وتستيقظ به الأجسام والقلوب، والعقول؛ ثم جديدٌ بنفسه، تتجدد قواه، ويتجدد نشاطه، وتفتح قريحته مع العصور؛ علمه سيّار، وعقله مبتكر، ونفسه طموح، وهمته وثابة، وهو كالمر كل قطرة غير الأولى، ولكنها قطراتٌ مر، كلها تحيي الأرض، وكلها تُنبِت النبات، وكلها تسقي المزارع والأشجار، وكلها تفتح الأزهار، وكلها تكون الأنهار، وهو معنى قول النبي ﷺ: «أمتي كالمر لا يُدرى أوّلُهُ خيرٌ أم آخِرُهُ».

المسلم كالشمس لا تغرب مطلقاً :

□ ويقول محمد إقبال: «إن المسلم كالشمس إذا غربت في جهة، طلعت في جهة أخرى فلا تزال طالعة».

وقد صدق، فإن الإسلام لم يَنكَب في ناحية من نواحي العالم، ولم يخسر في جانب دولة إلا وقامت له دولة في جانب آخر؛ ولم تسقط له راية إلا وخفقت له راية أخرى؛ ولم يغيب له نجم، إلا وطلع له نجم آخر.

لقد كانت خسارة الأندلس الإسلامية كارثة كبيرة، ومصاباً عظيماً، ولكن عوض الإسلام بها بدولة فتية من أعظم دول العالم، هي دولة آل عثمان في تركيا قامت في نفس القارة الأوروبية، وجثمت على صدر الدول والأمم التي انتزعت الأندلس الإسلامية، وأجلت المسلمين من وطنهم العربي الإسلامي.

وكان سقوط غرناطة، وأوج الدولة العثمانية، في عهد سليمان القانوني،

حادثين في عصر واحد. ونُكِبَ العالم الإسلامي، ونُكِبَت بغدادُ بغارة التتار، وانطمست معالم الحضارة الإسلامية، وزُلزل المسلمون زلزالاً شديداً، ولكن في نفس هذه الفترة كانت الدولة المسلمة في الهند تتسع وتزدهر.

وأُصيب العالم الإسلامي بهزاتٍ عنيفة، وقواصمَ مؤلمة في فجر هذا القرن المسيحي على أيدي الأوروبيين، فقد اقتسمت الدولة الأوروبية تراث الدولة العثمانية كمالٍ سائب، واغتصبت مملكتها في أفريقيا، وتقاسم الحلفاء سورية وفلسطين والعراق، ولكن تَبَعَ هذا كَلَّهُ اليقظة الإسلامية الهائلة، والوعي السياسي القويم، والطموحُ إلى الاستقلال والحرية، والحركات الإسلامية المختلفة التي كان يُمِشُّ بها العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه.

ونُكِبَ المسلمون في العهد الأخير نكباتٍ عظيمةً في الشرق الأقصى والأوسط، وخسرت الدول العربية فلسطينَ العربية الإسلامية، ولكن في نفس هذه الفترة قامت للمسلمين دولتانِ فتيتان في الشرق، إحداهما دولة باكستان والأخرى إندونيسيا.

وهذا لم يزل التاريخ الإسلامي متأرجحاً بين الأسفل والأعلى؛ فما تسفل منه جانبٌ إلا وترفع جانب آخر، كالأرجوحة تماماً، ولم تتوارَ شمسُه في أفقٍ إلا وبزغت في أفق آخر، وذلك لأن الإسلام رسالة الله الأخيرة التي لا رسالة بعدها، والمسلمون هم الأمة الأخيرة، التي لا أمة بعدهم؛ فإذا ضاعوا فقد ضاعت الرسالة، وإذا هلكوا فقد غرقت السفينة التي تحمل الذخيرة»^(١).

(١) المصدر السابق (ص ٨٥).

عَالِي الْهَمَّةِ:

يعرفُ قيمةَ نفسه، وشرفَ إنسانيَّته، يعرف ذلك الجوّ الفسيح الذي هيّأه الله لطيرانه وتحليقه، ويعرفُ تلك الكنوزَ البديعة، والقوى الجبّارة، والمواهبَ العظيمة التي أودعها الله في باطنه، يعرف معنى سجودِ الملائكة لأبيه آدم، والإشارة في ذلك، وأنه إذا كانت الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمّرون الذين يتصرّفون في هذا الكون بأمر الله، ويبلغون رسالاته، فإذا خضعوا لآدم أبيهم فقد خضع له الكون بالأولى، ولذريّته إن استقاموا على منهج الله.

كَلِمَاتٌ لِلْحَيَاةِ:

«عجباً لك أيها المسلم! تجلّت لك الآفاق، وغابت عنك نفسك، إلى متى تظل غافلاً جاهلاً؟ وتجلس ضائعاً عاطلاً، إنّ نورك الوهاج أنار العالم القديم، ونسخ الليل البهيم، ولا تزال (اليد البيضاء) التي ورثتها عن موسى في كمّك، تخطّ حدودَ الآفاق الضيقة، فأنت السابق لها والفائق عليها، فقد كنتَ ولم تكن، وستكون ولا تكون، هل تخافُ الموت أيها الإنسان الحي الخالد؟ لقد كان جديراً بالموت أن يخافك، فأنت تكمن له وترصد به.

اعلم يقيناً، أن الكريم إذا وهب شيئاً، لا يسلبه ولا يشرده، وليس حتفُ ابن آدم في فراق الروح، إنما حتفه في ضعف الإيمان، والحرمان من اليقين»^(١).

□ «افتح عينيك -أيها الزهرُ النائم- مثلَ النرجس الذي لا يُطبق عينه

(١) «زبور عجم» لمحمد إقبال (ص ١٦٤).

لحظة، ولا يعرف الكرى إليه سبيلاً، لقد أغار على وكرنا الأعداء، ونهبوا كل ما فيه، من كنوز وخيرات، ألا يكفي هدير الحمام، وصفير الأذان، وأنين القلوب والأرواح أن يُوقظك؟! انتبه من هذا السبات العميق، الذي طال أمده واشتدت وطأته.

لقد بدأت الشمس رحلتها المباركة المتكررة، وارتفع عمود الصباح المنير في بحر الظلمات، وحزمت القوافل في الجبال والصحاري أمتعتها، وضربت أجراس الرحيل، فما لك أيتها العين الساهرة! التي خلقت لمراقبة الإنسانية، وحراسة الضعفاء، تنامين، ولا تنظرين إلى ما يدور حولك من الأحداث والتقلبات، انتبه من السبات العميق، الذي طال أمده، واشتدت وطأته.

لقد أصبح بحرُك ساكناً كالصحراء، لقد فقد طبيعته وجهد ووقف. فلا مد فيه ولا جزر، ولا زيادة فيه ولا نقص، عجباً لهذا البحر الذي لا يهيج ولا يموج، وليس فيه تمساح طموح مخامر، ولا موج عارم ثائر، لقد كان جديراً بك أن تقفز من حدوده الضيقة الهادئة، وتفيض على البراري والقفار والنجاد والأغوار، انتبه من سباتك العميق الذي طال أمده واشتدت وطأته.

اعلم أن الوطن جسد من تراب، والدين هو الروح، ولا حياة للجسد والنفس، إلا بارتباط الجسد والروح، انهض أيها المسلم! وفي إحدى يديك «المصحف» وفي الأخرى «السيف»، فابجتماعهما تسعد البشرية، وتخصب المدينة، انتبه من السبات العميق الذي طال أمده واشتدت وطأته.

أنت الناموسُ الأزلي حارسٌ وأمين، ولسيّد هذا الكون يسار ويمين^(١)،
لقد كانت نشأتك من التراب، ولكن بك قوام العالم وبقاء الأمم، اشرب
كأسًا فائضةً من اليقين، وانفض من حضيض الظن والتخمين، انتبه من
السُّبات العميق، الذي طال أمده، واشتدت وطأته.

الغياث من الإفرنج الذين خلّبوا العقول، وسحروا النفوس، الغياث
من هؤلاء الذين خدعوا مرةً بالركة والدلال، ومرةً بالقيود والأغلال،
وتارةً مثلوا دور «شيرين»، وطورًا لعبوا دور «أبرويز»^(٢)، لقد أصبح
العالم كله خرابًا يبابًا بإغارتهم وغزوهم.

يا باني الحرم! ويا خليفة إبراهيم! انفض لبناء العالم من جديد، انتبه
من السبات العميق، الذي طال أمده واشتدت وطأته»^(٣).

□ «لقد هبَّت عليّ نفحةٌ مُنْعِشةٌ من نسيم السَّحر في الصباح فناجتني،
وقالت لي: إنَّ الذي عَرَفَ نفسه وعرف قيمته ومركزه، لا يليق به إلاَّ
عروشُ الملوك وأسرَّةُ السلاطين، إنه لا حياة لك ولا قوام، ولا شرف ولا
كرامة إلاَّ بهذه «المعرفة»، فإذا ملكتها ملكت العالم، وإذا فقدتها، أصبحت
من سَقَطِ المتاع، إنه يتربَّى في مدرسة شعري وأدبي شبابٌ لا يملكون
درهمًا ولا دينارًا، ولكنهم يملكون صولةَ السلاطين، ويُحسنون آداب

(١) يعني أنه آله بيد القدرة الإلهية.

(٢) يشير إلى قصة غرامية فارسية قديمة تناقلها الأدباء والشعراء في إيران والهند،
تمثل فيها «شيرين» دور المرأة الفاتنة التي هام بها الأبطال، و«أبرويز» دور
الملك القاهر الذي عشقها، واستأثر بها.

(٣) «زبور عجم» (ص ١١٦ - ١١٨) باختصار وتوسُّع، و«روائع إقبال» (ص ٨٩ -

٩٢) باختصار.

الملوك، إِنَّ لَكَ الحِيار، فاختر ما شئت.

ولكنني بدوري، لم يعجبني الفرار من الحياة، والعكوف في الزوايا والخلوات.

لقد هيأك الله -أيها الشاب المسلم لاقتناص «هُما»^(١)، وما هذه الطيور والأسماء التي تملأ العالم إِلَّا للتمرُّن عليها في بدء أمرك، ويتلَهَّى بها غيرك. وما نُطقك بالشهادتين -أيها المسلم- سواء كنت عربياً أو أعجمياً، إِلَّا حديثاً غريباً، حتى يشهد بك قلبك»^(٢).

«إِنَّ كُلَّ ما في العالم من الظواهر الكونية، أو الأجرام الفلكية، راحل زائل، وغائب آفل، أنت -عالي الهمة- بطل المعركة، وقائد الجيش، وكل ما حولك من سافل وعالٍ، ورخيصٍ وغالٍ، من جنودك وأتباعك.

أسفاً لك، أيها الرجل! لم تقدّر نفسك، ولم تحسب لها حساباً، ما أشدّ جهلك، وما أضيق نظرك! إلى متى تجري وراء الدنيا الذليلة وتعبد لها وتخضع لها؟ إمّا أن ترفضها رفضاً باتاً، وتزهد فيها وتبتلّ، وإما أن تملك ناصيتها وتسود وتحكم، لا منزلة بين المنزلتين، ولا توسط بين الشهادتين».

بل نقول بمرامى المؤمن القوي الطموح.. ازهد وتبتل واملِك ناصيتها وسد واحكم كدودا وسليمان ﷺ.. وعمر بن عبد العزيز..

فنحن أناس لا توسط عندنا لنا الصّدُر دون العالمين أو القبر

(١) طائر أسطوري في الأدب الفارسي والأردني، يُضرب به المثل في اليأس والسعادة، يُقال: أنه ما أظلم إنساناً، وما طار فوق رأسه إنسان إلا وكان ملكاً في يوم من الأيام!!!.

(٢) «بال جبريل» لإقبال (ص ٦٧ - ٦٨).

□ إن السجدة التي هي جدرة بالاهتمام هي السجدة التي تحرّم عليك كل سجدة لغير الله.

□ إن هذا الكون الفسيح ليس وكرُّك الذي تستريح فيه، والغاية التي تنتهي إليها؛ ليست هذه الأرض، التي مادتها التراب، مصدر روحك المتوقّدة الوثابة، وعاطفتك الملتهبة؛ أنت مادة الكون، وليس الكون مادّتك.

كُن في تقدّم دائم، ورحلة دائمة، وحطّم هذا الجبل الأصمّ الذي يعترض في طريقك، وتمرّد على هذا الزمان والمكان، وتحرّر من قيودهما، وانطلق من حدودهما، فإن المؤمن إذا عرف قيمة نفسه اقتنص هذا العالم، واقتنص هذه الأرض والسماء في بعض ما يقتنص.

«إن هنالك عوالم وأكواناً، لم تقع عليها عينٌ بعد؛ فإن ضمير الوجود لم يفرغ جعبته، ولا يزال يأتي بجديد؛ وإن هذه العوالم متشوّقة لهجومك، وغارتك، وزحفك؛ متشوّقة لأبكار أفكارك، وبدائع أعمالك؛ إن هذا العالم يدور دورته؛ لتتكشف عليك نفسك وحقيقتك.

أنت فاتح هذا العالم، ويعجزُ البيانُ عن وصفك، وتعجزُ الملائكة عن غاياتك»^(١).

فَدَتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَقَتْ فِيهِمْ ظَنُونِي
فَوَارِسَ لَا يَمَلُّونَ الْمَنَايَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزُّبُونُ^(٢)

(١) «روائع إقبال» (ص ١٣٩ - ١٤٠).

(٢) البيتان لأبي الغول الطهوي. والحرب الزُّبُون: التي تصدم الناس وتدفّعهم.

يا عالي الهممة أنت حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح:

جدد في بني أمّتك الإيمان واليقين، فقد عراهم الظن والتخمين، إنَّ مقامك ومنزلك وراء هذه القبة الزرقاء والسموات العُلى، مقامك في عُرف الفردوس الأعلى.. ينظر إليك الذين في أرض الجنة كما ينظرُ الناس إلى النجم الغابر في الأفق لتفاضل ما بينهم.

إنَّ ركبك يمشي فوق النجوم النيرة والكواكب المتلألئة.

إنَّ هذا الكون بما فيه ومن فيه، سائرٌ إلى الزوال والفناء، ولكنك تملك الآماد والأبعاد، فإنك أنت رسالة الله الخالدة الأخيرة، فأنت خالدٌ مع خلود رسالتك^(١)، ودائمٌ بدوام دورك ومهمتك.

□ إن دماءك القانية عطرٌ حنّاءٍ لعروس الوردية الحمراء؛ فبدمائك السخية الطاهرة تنتعش الورود والأزهار، ويجري في عرقها ماء الحياة.

□ إن نسبك المعنوي متّصل بسيدنا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- فأنت باني الحرم ورافع قواعد البيت العتيق.

□ إن فطرتك حارسةٌ أمينة لإمكانات الحياة وأسرار الوجود، فأنت المحكُّ الأصيل لجوهر الكون وسرّ الحياة، وإنَّ ما حملته النبوة من تحفة غالية وهدية ثمينة من عالم الماء والتراب إلى عالم الخلود الذي لا يزول ولا يحول، إنما هي أنت، وقد انكشف هذا السرّ الدقيق بماضي الأمة الحنيفة والملة السمحة البيضاء، إنك أنت الوصي على هذه الشعوب والأمم.

□ عُدْ مرّةً ثانيةً إلى دروس الصدق والعدل والشجاعة، فالكون في

(١) وَضَعَ نَصَبَ عَيْنِكَ قَوْلَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَمَاتٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

انتظارك، وقيادة العالم تتطلع إليك وتتشرّف نحوك.

□ حَطَمَ -أيها المسلم- أصنامَ اللون واللحم والدم، وذُبَ في بوتقة الملة الحنيفة السمحة، لتُصهر صهراً جديداً، فلا فروق ولا امتيازات، ولا جنسيّات ووطنيّات، ولا عصبّيّات وقوميّات.

□ إلى متى تتمتعُ برفقة الطيور المغرّدة في الحديقة الفيحاء بين الأغصان الرطبة البليلة، أليس بجناحيك قوة طيران الصقور المحلّقة في الفضاء، التي تُنشئ أوكارها في الجبال الجرداء والشماء.

□ إنه لا تُغني السيوف الصارمة، والعقول الراجحة، في الرّق والعبوديّة فنيلاً، ولا تتحطّم سلاسل العبوديّة وأصفاد الذلّ والصغار إلّا بطعم الإيمان وذوق اليقين.

مَن الذي يستطيع أن يقدر قوة المؤمن وصولته؟! إن نظرة منه والتفاتة تكفي لتغيير المقادير، وقلب الأوضاع، وهل الولاية والصلاح والغلبة والسلطان، وعلم الأسماء وسعة الإدراك، إلّا تفسيراً لكلمة الإيمان.

ولكنّ البصيرة الإبراهيمية لا تتأتّى بسهولة، ولا تُوهب مجّاناً، فكم من الأهواء والأطماع تختفي في مسارب النفس، وتكوّن لها أعشاشاً وأوكاراً.

□ ألا إن اليقين المحكم الجازم، والعمل المستمر الحاسم، ومحبة الرسول الأعظم فاتح الشعوب والأمم ﷺ هي السيوف المسلولة بأيدي الرجال الأبطال في معركة الحياة.

□ ماذا ينبغي أن يتحلّى به الرّجل؟ قلبٌ سليم، ونبعٌ صافٍ، ودمٌ فائر، ونظرةٌ عفيفة، ونفسٌ قلقة ولوعة طموحة.

□ أنت أيها المسلم سرُّ الوجود، فانكشف على نفسك قبل أن تكشف على غيرك، وبخِ بِسِرِّكَ لِسِرِّكَ، وكن أمين «الذات» وترجمان أمر الله.
□ لقد قطع الهوى والطَّمَع بني آدم إربًا إربًا، ومزَّقهم شرَّ ممزَّق، فكُن أنت -أيها المسلم- نعمة الأخوة الحانية، ولسان الحبِّ البليغ.

□ يا ملتزم الساحل واللاجئ إلى الشاطئ، اقفرْ بنفسك في خضم البحر فلا تحدِّك حدود، ولا تغلِّك قيود، لقد يُرى على جناحيك غبار اللون والنسل والوطن، فرفرفْ بجناحيك يا طائرَ الحرم قل أن تُخلِّق في الفضاء وانفضْ عنك هذا الغبار.

□ اسبر أغوار قلبك ونفسك، وانزل في الأعماق، فإنها سرُّك، وارفع عن نفسك نير الصباح والمساء وحطم كل القيود والأغلال.. كل قيود الأرض وكل أوهاق وأغلال العبودية لكل ما سوى الله، تعرف قدر الحرية، فتهام الحرية في العبودية لرب البرية، والمكاتب عبدٌ ما بقي عليه درهم.

وُخِلِّقَتْ طليقًا كطيف النسيم، وحرًّا كنور الضُّحَى في سَمَاءِ
تُحَلِّق كالطَّيْر أين اندفعت، وتشدو بها شاء وحيُّ الإله
تُسَبِّح بين ورود الصباح، وتنعم بالنُّور أنى تراه
وتمشي -كما شئت- بين المُرُوج، وتقطف وزد الرُّبَا في رُبَاة

~~~~~

كذا صاغك الله، يا ابن الوجود، وألقَّتْ في الكونِ هذي الحياة  
فمالك ترضى بِذُلِّ القيود، وتُحْنِي لمن كَبَلُوك الجباه؟  
وتُسَكِّتُ في النفس صوت السماء القويَّ إذا ما تَغْنَى صداه؟



وَتُطَبَّقُ أَجْفَانُكَ النَّيِّرَاتِ عَنِ الْفَجْرِ، وَالْفَجْرُ عَذْبُ ضِيَاهِ؟

وَتَقْنَعُ بِالْعِيشِ بَيْنَ الْكَهَوفِ فَأَيْنَ النَشِيدِ؟ وَأَيْنَ الْإِبَاهِ؟

أَتَخْشَى نَدَاءَ السَّمَاءِ الْجَمِيلِ؟ أَتُرْهَبُ نُورَ الْفَضَا فِي ضُحَاهِ؟

أَلَا نَهَضَ وَسِرٌّ فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ، فَمَنْ نَامَ لَمْ تَنْتَظِرْهُ الْحَيَاةُ؟

وَلَا تَخْشَ مِمَّا وَرَاءَ التَّلَاعِ.. فَمَا تَمَّ إِلَّا الضُّحَى فِي صِبَاهِ..

وَلَا رُبِعُ الْوُجُودِ الْغَرِيرِ، يَطْرُزُ بِالْوَرْدِ ضَا فِي رَدَاهِ..

وَلَا أَرِيحُ الزُّهُورَ الصُّبَاحِ، وَنُورَ الْأَشْعَةِ بَيْنَ الْمِيَاهِ

وَلَا حَمَامُ الْمَرْجِ الْأَنِيقِ، يُغَرِّدُ، مُنْطَلِقًا فِي غِنَاهِ..

إِلَى النُّورِ! فَالنُّورُ عَذْبُ جَمِيلٍ، إِلَى النُّورِ! فَالنُّورُ وَصَفُ الْإِلَهِ

□ إِذَا صَادَفَتْكَ مَعْرَكَةُ الْحَيَاةِ فَكُنْ لَهَا حَدِيدًا صُلْبًا، وَإِذَا غَاظَلَتْكَ لَيْلَةُ

الْحُبِّ فَكُنْ لَهَا حَرِيرًا نَاعِمًا، شُقَّ لَكَ الطَّرِيقَ فِي التِّبَابِ الْقَفَارِ، وَحَطَّمْ

الْجِبَالَ بِسَيْلِكَ الْعَرَمِ وَتِيَارِكَ الْعَنِيفِ، وَإِنْ اعْتَرَضَتْكَ حَدِيقَةُ فِي الطَّرِيقِ،

فَنَاغَمِهَا بِجَدْوَلِكَ الْجَمِيلِ الْمُنْسَابِ، الَّذِي لَهُ خَرِيرٌ يُسَكِّرُ النُّفُوسَ وَيُبْهِرُ

الْأَلْبَابَ.

□ إِنَّ عِلْمَكَ وَحُبَّكَ لَا يَعْرِفَانِ الثُّغُورَ وَالْحُدُودَ، وَلَا يَعْتَرِيهِمَا الزَّوَالُ

وَالْفَنَاءُ، وَلَيْسَ فِي قِيَارَةِ الْكُونِ أَنْشُودَةٌ أَحْلَى مِنْكَ.

□ عَلَّمَ الْبَلَابِلَ دُرُوسَ التَّغْرِيدِ، وَانْفَخَ فِي الطُّيُورِ رُوحَ الْخِفَّةِ

وَالنَّشَاطِ، وَافْتَحَ أَكْهَامَ الزُّهُورِ وَالرِّيَّاحِينَ، فَأَنْتَ نَسِيمُ السَّحَرِ، وَنَفْحَةُ

الرَّوْضَةِ النَّدِيَّةِ.

□ لَقَدْ التَّهَبَتِ جَمْرَةُ الْحُبِّ وَالْإِيْمَانِ وَالنَّخْوَةِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ كَرَّةً ثَانِيَةً،

وَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ حَلْبَةً لِلْفَرَسَانِ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ عَالِي الْهَمَّةِ مُجِيدٍ، وَمِنْ

الأباه الشُّمَّ ذوي الهَمَّة القعساء والنَّظر البعيد.

□ إن اليقين المسلم عالي الهَمَّة وإيمانه في عالم الظَّن والتخمين،  
كمصباح الرَّاهب في الصحراء في ظلمات الليل البهيم، ما الذي أصاح  
بعروش كِسرى وقيصر، وقضى على ظلمهما وجورهما؟ إنه قوَّة علي، وفقر  
أبي ذر، وصِدق سلمان.

□ انظر إلى رُكْب المؤمنين الأحرار، كيف يَشُقُّ طريقه في أُمَّهَة وجمال،  
ويتطلَّعُ إليه من فتحات الأبواب أُسْرَى القرون والأجيال.

□ إِنَّ هذه الشُّعلة مِنْ طين، عندما تتحلَّى بالإيمان واليقين، تكتسي  
بأجنحة الرُّوح الأمين، وتطيرُ بها في العالمين.

